15me Année No. 715

Lundi — 17 — 3 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧١٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ربيع الثانى سنة ١٣٦٦ — ١٧ مارس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

بدع التشبيـــه ...

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

جاءنى خطاب من « مستفسر » يسألنى فيه بعض التوضيح لمسألتين عرضت لهما فى محاضرة عن « الأدب المصرى بين حربين » ألقيتها فى نادى خريجى القسم الإنجليزى بالجامعة المصرية . وهما بدعة التشبيه والروايات التى تسمى بالملاحم الاجتماعية .

أما بدعة التشبيه فقد كانت مناسبة الكلام فيها أن أدباء الصناعة كانوا يحسبون الوصف فرصة لاختلاق الأشباه التى لا أصل لها فى الطبيعة ولا فى إحساس الشاعر . فكان الشاعر يصف الدمع الأحمر لأنه استنفد ماء شئونه فجرى الدمع من دم مآقيه ، فيأتى بعده من يعارضه بوصف الدمع الأخضر أو الدمع الأسود أو الدمع الأصفر إلى غير ذلك من الألوان التى لم تشاهد قط فى عين إنسان .

فمن تعليلاتهم لاحمرار الدمع قول الأرجانى :

دنون عشـــية التوديع منى ... ولى عينان بالدم تجريان
ولم يصحن إكراماً جفونى ... ولـكن رمن تخضيب البنان

فالدمع هنا نوع من صبغة الأظافر أو صبغة الأنامل التى تقابل « المانيكور » فى هذا الزمان .

ولـكنه عند ابن سناء الملك انعكاس لون الخدود :

لا تحسبوا أنى بكيت دماً ... ولئن بكيت فليس بالبـدع
لـكن دمى حين قابـــله ... ألقى شعاع الخد فى الدمع

وكذلك هو عند الباخرزى حين يقول :

شكوت الذى ألقى سهاداً وعبرة ... وقلت احمرار الدمع يخبر عن وجدى
فقال محال ما ادعيت وإنمـــا ... سرقت بعينيك التورد من خدى

أما ابن الساعاتى فالدمع عنده مطر ، والمطر من البرق ، والبرق كالصفائح الدامية ... فلا عجب أن تجرى الدموع بلون الدماء كما قال :

سلوا بالحمى أين الظباء السوانح ... وهل ظل بعـدى بانه المتناوح
جرى ماء عينى يوم كاظمة دماً ... فأعلمنى أن البروق صفائح

وتتحول المسألة إلى أنبيق تقطير عند يوسف بن لؤلؤ الذهبى فيقول :

قالوا تباكى بالدموع وما بكى ... بدم على عيش تصرم وانقضى
فأجبتهم هو من دمى لـكنه ... لـما تصعّـد صار يقطر أبيضا

وإلى هنا تنحصر المشابهة فى الدمع والدم وهما فى بنية الإنسان وفى تركيب العيون .

إلا أنها لا تنحصر فيهما طويلا حتى يعرض لحلها خليل ابن إيبك الصفدى شارح لامية العجم فيروى فى كتابه « تشنيف السمع بانسكاب الدمع » أن الدمع يسودّ كما قال بعضهم :

وقائلة ما بال دمعك أسودا ... وجسمك مصفر وأنت نحيل
فقلت لها أفنى جفاؤك مدمعى ... وهذا سواد المقلتين يسيل

ويعجب الصفدى بالمعنى ولكنه يستضعف الشعر « كأنه عروس جليت فى ثياب حداد » ... ثم ينتقل إلى الدمع الأخضر فيروى هذين البيتين :

وقائلة ما بال دمعك أخضرا فقلت لها : هل تفهمين اشارتى
ألم تعلمى أن الدموع تجففت فأجريتها يا محنتى من مرارتى

ويعود الصفدى فيعقب قائلا : « وهذا القطوع ركيك . وإنما الاستطراد اضطرنى إلى ذلك . ولقائله عذر واضح لكونه دفع إلى مضيق هذا الجواب ، وكنت قد كلفت نظم شىء فى الدمع الأخضر فاتفق لى هذا المعنى فنظمته وهو :

يقول عذولى ما لدمعك أخضرا
جرى فى هوى ظبى غلا فى نفاره
فقلت صفا دمعى وقابلت صدغه
فأبصرت فيه لون آس عذاره

وتبرعت بالنظم فى الدمع الأصفر فقلت :

وقائلة ما بال دمعك أصفرا فقلت لها ما حال عن أصل مائه
ولكن خدى اصفر من سقم الهوى
فسال به والماء لون إنائه

وهكذا كانوا يفهمون الوصف على أنه مناسبة لاختلاق التشبيهات التى لاوجود لها فى الحس ولافى الطبيعة ، ولايشبهون لتقريب المحسوسات إلى العاطفة أو الخيال .

فلما خلص الشعر من أوهاق الصناعة بطل هذا الاختلاق وأعقبته محاولة التشبيه للتقريب وصدق التمثيل . وهذه خطوة تقدم لا شك فيه ... فلا يقدح فى هذا التقدم أن يكون السابقون أبرع من اللاحقين فى اصطياد التشبيهات وتمحل المناسبات . فإن الذى يعمد إلى التشبيه لأنه يحس ويتخيل خير من الذى يعمد إليه لأنه يعرض براعته فى التلفيق والاختلاق ، وإن قصر الصادق عن المختلق فى ظواهر التشبيه .

عرضت لهذا التطور فى سياق الكلام على نهضة الشعر الحديث بعد هبوط الصناعة به إلى ذلك الحضيض . فبلغ من دهشة السامعين أن طالباً أزهرياً منهم ظن أننى وضعت هذه الشواهد من عندى لتمثيل تلك النزعة واستبعد أن يجد شاعر فى نظم تلك السخافات . فأرضانى منه هذا الشك لأنه كان من أدل الدلائل على ارتقاء الأذواق وتطور الأفهام . فما كان براعة يتسابق إليها الأدباء قبل بضعة قرون أصبح فى زماننا هذا سخفاً لايعقل أن يخطر على بال أديب ولا قارىء ، وكفى بذلك دليلا على نشأة الأدب من جديد بعد ذلك المسخ وذلك الانحدار .

ويحق لمن أراد أن يستزيد من تحقيق تلك الأعجوبة أن يعرف مرجعها فى ذلك الكتاب الذى أشرنا إليه ، فإن كتاب « تشنيف السمع » قد طبع بمطبعة الوسوعات بشارع باب الخلق وليس هو بالمخطوط النادر الوجود

***

أما الروايات المطولة التى سميناها بالملاحم الاجتماعية فقد عرضنا لها فى المحاضرة لنقول إنها لم تظهر فى الأدب المصرى لأنها تتوقف على قيام المشكلات الاجتماعية التى تدور عليها . وستظهر فى حينها متى ظهرت موضوعاتها وظهر أبطالها وذوو « الشخصيات » التى تؤدى أدوارها فى الحياة

وقد خطر لبعض السامعين أن يناقش هذا الرأى لأنه أخطأ فهم العنوان وأخطأ فهم التطبيق .

فقد حسب أن القصة التى تسمى بالملحمة Epic وقف على موضوعات كموضوعات الإلياذة وما إليها ، أو أنها مقصورة على معارك الحروب وبطولة القتال .

وليس لذلك مسوغ من أصل الكلمة ولا من تطبيقها فى الروايات .

فإن الكلمة اليونانية لاتشير فى أصلها إلى حرب ولا أسطورة آلهية . ولا تتجاوز معنى الأقصوصة أو الأنشودة .

وتطبيق هذا العنوان القديم لا يستلزم حصر الملحمة فى الأساطير لأن رواية موتلى عن الجمهورية الهولندية تحسب من الملاحم وهى تدور على وقائع التاريخ .

وهو لا يستلزم حصر الملحمة فى المعارك الحربية لأن « الكوميدية الآلهية » ملحمة وليست هى من روايات المعارك الحربية ، ولو جاز الأخذ بالقشور لما جازت تسميتها بالكوميدية ولا « بالأوبى » على هذا الاعتبار .

وإنما تطلق الملحمة فى عصرنا وقبل عصرنا على كل قصة مطولة تدور على موضوع فخم من موضوعات البطولة والعظمة ، وهى من ثم صالحة لأن تظهر فى كل زمان متى ظهر الموضوع الذى تدور عليه ، وليس من الحتم أن تقف بعد عصر هوميروس أو عصور الأساطير .

عباس محمود العقاد

أوراق . . .

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

شرعت منذ ساعتين أقلب أوراق فى خزانة كتبى وأرتبها وأمزق ما لا أحتاج إليه . وأنا وأمثالى من الأوراق فى جهاد دائم . إن أغضيت قليلا تراكت على المكتب والكراسى وكان منظرها همًّا ، والتفكير فيها ألماً ، ونغّصت علينا العمل . فلا بد أن يتعهد الإنسان أوراقه بين الحين والحين وإلا غلبته وتراكت حوله تراكم الهموم .

وفى طبعى إلف يدعونى إلى الاحتفاظ بأوراق لا غناء فيها ، وكلما طال عليها الزمن ، وبعد العهد بما فيها زادت قرباً إلى نفسى ، وحباً إلى قلبى ، وعزّت علىّ عزة الذكر القديمة ، والحوادث التى تؤرخ الحياة الماضية .

وقد عثرت — وأنا ماض فى نقد الأوراق وتمزيق بعضها ، وقد غلبنى التعب والملل فهان علىّ تمزيق أوراق ضننت بها زمناً طويلا — على ظرف فيه وريقات شتى فجلست بها أقلبها وأتسلى بذكرياتها . فإذا هذه الوريقات تمثل تقلب الإنسان فى هذه الدنيا بين أعمال مختلفة ، وشواغل شتى . إن جمع بعضها إلى بعض كانت مفارقات مضحكة أو عظات مبكية .

هذه الوريقات فى هذا الظرف الصغير ترجع إلى سفرى إلى تركيا قبل تسع سنوات :

فهذه أبيات فيها كتب تركية فى موضوعات شتى ومعها بيان أثمانها . بين هذه الكتب نسخة عربية مخطوطة من أمثال الميدانى ، ونسخة جليلة من كتاب المثنوى أغلب الظن أنها كانت فى يد العالم الشاعر الصوفى المظيم الشيخ عبد الرحمن الجامى . ذكرتنى هذه الورقة بمجالس لى عند الورّاقين فى حىّ بايزيد من أحياء اسطنبول ، وهو أحب أحيائها إلى نفسى .

وورقة أخرى فيها أسماء أربع عشرة من خزائن الكتب فى هذه المدينة العظيمة اسطنبول وقد دخلتها كلها ونعمت بالقراءة والبحث عن الكتب القيمة فيها .

وأوراق أخرى من هذا الضرب الذى يشغلنا فى السفر والحضر واليقظة والنوم .

وورقة فيها قطع من الشعر التركى خطها أديب عالم تركى ظفرت بصحبته فى تلك الرحلة هو المرحوم فريد بك . وكان رحمه الله متشائماً كثير السخرية .

ومن هذه الأبيات وأحسبها من نظمه :

كچدى دنيادن آدا ملق دوره سى
اعتماد إيت كل بد قول راجح
شمدى حيوانلقده درفيض ورواج
روح إنسانية الفاتحة

وترجمتها :

مضى من الدنيا دور الإنسانية . اعتمد على هذا القول الراجح والحيوانية الآن فى فيض ورواج . فلروح الإنسانية الفاتحة .

وبعدها ورقة فيها بيان بكتب مخطوطة قديمة محلاّة رأيتها عند واحد من ولاة الترك السابقين . ورأيت كيف يعتز بها ، ولسان حاله يقول :

وقد تخرج الحاجات يا أم عامر كرائم من ربٍّ بهن ضنين

ثم ورقة تذكر بزيارتى بيت الشعب فى أنقره وما لقيت هناك من رجال وآراء وتحف وآثار .

وبطاقة فيها ذكر كتب وآثار رأيتها فى مدينة قونية حينما زرت ضريح جلال الدين الرومى ، ودار المولوية التى صُيّرت اليوم متحفاً . وكم لى فى دار المولوية من وقفات ، وعظات . وكم لها فى النفس من ذكريات .

وصورة صغيرة لرجل كريم رافقته فى طريق من اسكيشهر إلى قونية وسايرته فى قونية ساعات لحفظ الودّ ، وأهدى إلىّ صورته وعلى ظهرها كلمة تعرب عن أخوته وصداقته . وتاريخها ١٣ أيلول سنة ١٩٣٧ ، وقد افترقنا ولم يعلم أحدنا عن صاحبه من بعد شيئاً . ورحم الله حافظا الشيرازى . يقول :

« اغتنم الصحبة فاننا حين نفترق من هذا المنزل ذى الطريقين لا نستطيع أن نلتقى أبداً » .

وكل منازل هذه الحياة ذات طريقين بل طرق . إن افترقت بالمجتمعين لم يكونوا من اللقاء على يقين .

ثب وثبا ...

للأستاذ علي الطنطاوي

كان أبي رحمه الله يوقظني كل غداة لأصلي الصبح ، يناديني فأجيبه والنوم في عيني أقول :

— حاضر . سأقوم حالا .

— فيقول : لا تتراخَ . ثب وثباً .

فأتراخى وأتكاسل ، ثم أتناوم فلا أردّ ، أو أردّ ولا أقوم ، حتى يملّ مني فيدعني . وتوفي أبي ، وكبرت ، وقرأت الكتب وجالست العلماء ، وخبرت الدنيا ، وجربت الأمور ، فلم أجد تجربة أجدى ، ولا كلمة أنفع ، ولا موعظة أعظم أثراً في المعاش والمعاد ، والأفراد والجماعات . من كلمة أبي تلك : « ثب وثباً » لو أن الله جلّت حكمته مدّ في أجله قليلا حتى يعوّدني العمل بها ، والسير عليها ، ولم تخترمه المنية وأنا صغير لم أتمرس بعد بحرب الشيطان ولم أستكمل العدة لدفع أذاه ، وردّ كيده عني ، فلبثت في نضال معه إلى اليوم ، أغلبه حيناً ، ويغلبني ، لعنة الله عليه ، في أكثر الأحيان .

تدوّي هذه الكلمة في أذني كل صباح ، فأسمع منها صوت أبي يقول لي : « قم إلى الصلاة ؛ فالصلاة خير من النوم ، وبكّر فالبركة في البكور » فيقول الشيطان : « الوقت فسيح ، والنوم لذيذ ، والفراش دافىء ، والجو بارد » ولا أزال بين داعي الواجب وداعي اللذة ، أفكر في متعة الصلاة وثواب الآخرة ، فأتحفز للقيام وأتصوّر مشقة الوضوء ، وبرد الماء ، فأنقلب من جنب إلى جنب . ولا تزال نفسي بينهما كنوّاس[1] الساعة ، تتردّد بين : « قم » و« نم » حتى تطلع الشمس ويفوّت الشيطان عليّ الصلاة ، ويضيّق عليّ الوقت ، فآكل طعامي لقمة بالطول ولقمة بالعرض ، ولقمة تعترض في صدري فأغصّ بها ، وألبس ثيابي جورباً على الوجه وجورباً على القفا ، وعقدة مائلة وقيصاً أعوج ، وأنسى من عجلتي

(1) النواس : رقاص الساعة . وفي المعاجم : ناس تذبذب متدلياً . ومنه قولهم : له ذؤابتان تنوسان على كتفيه .

وبيدي الآن صفحة كتبت بخط نسخي جميل وباللغة التركية وهي رسالة من أحد أدباء الترك إلى آخر يعرب عن تحسره على الشاعر الكبير الصديق المرحوم محمود عاكف . ولست أذكر الآن المنشىء ولا الكاتب .

وهي صحيفة جديرة أن تترجم إلى العربية وتنشر تجديداً لذكرى شاعر الإسلام عاكف الذي سعدنا بصحبته في مصر سنين .

وهاتان ورقتان نشرتهما فإذا أبيات لي في وصف دمشق وإحدى ذكرياتها مسطورة بالرصاص وللمداد فيها إصلاح وتغيير كالتمثال لا يزال يعمل في جوانبه إزميل النحات ، وأول الأبيات :

دمشق يا قرّة العيون   وبسمة الفؤاد والجبين
لله يوم خلست فيه   ساعاً من الدهر ذي الشجون
دخلت خلف العصور داراً   عاد بها غابر السنين
رأيت تاريخنا تجلى   يفيض بالشعر والفنون الخ

وهي أبيات كثيرة وصفت فيها داراً قديمة من دور دمشق ذات الحدائق والنوافير والنقوش والزخارف التي تمثل تاريخنا يوم كنا نبني بأيدينا وعقولنا لأنفسنا قبل أن نسلب الاستقلال في كل شيء ، ونُعنى بالتقليد في كل شيء .

وآخر الأبيات :

خرجت منها يقول قلبي   للرجل : بالله أنظريني

ومن الأوراق كتاب من النادي العربي في دمشق يتضمن شكري على محاضرة ألقيتها فيه موضوعها : النهضة العربية .

وأوراق غير هذه فيها حساب الفنادق . ومالي وللحساب .

هذا ظرف صغير نشرتُ منه هذه الذكَر كلها ، وقد مضت عليها تسع سنين وكأنما وقعت أمس .

وكل حياتنا ملأى بالوقائع ، والفكر والعبر ولكنها تمر سريعة مرّ الزمان . ويُنحى عليها الزمان المحّاء بالمحو والنسيان . فهل من مُدّكر .

أثارت هذه الوريقات ذكريات في نفسي ، تتصل بها ذكريات وكشفت النسيان عن حوادث عفّى الزمان على آثارها . فسارعت بكتابة هذه الكلمة قبل أن يمحوَ الزمان الذكَر ، ويفجع بعد العين بالأثر .

عبد الوهاب عزام

بعض أوراق ، وأهرول في الطريق ، فأسيء هضمي ، وأتعب معدتي ، وأضحك الناس عليّ . ثم إني ما كسبت من هذا الإبطاء نوماً ، ولا ازددت راحة ، ولو (وثبت) من أول لحظة لكان في ذلك رضا ربي بأداء الصلاة ، وصحة جسمي بحسن الأكل وإجادة المضغ ، وإكمال عملي بإعداد أوراقه على أناة ، وحفظ منزلتي بين الناس بالسير على مهل .

وأنظر فأجدني أقرأ كل يوم مهما أقللت أكثر من مائتي صفحة ، جلها مما لا يفيد علماً ، ولا يعلّم أدباً ، ولا يقوّم خلقاً ، وأدع عشرات الكتب الجدّية النافعة في اللغة والأدب والفقه والتفسير ؛ فأعزم على قراءتها ، وأذهب فأعدُّها وأصفُّها على مكتبي ، وأهم بالشروع بها ، فأجدها كثيرة ، فأرجيء النظر فيها ، وأقول : سأبدأ في غد فما يضر التأخير إلى الغد وقد أخرتها هذه السنين كلها ، فيجيء الغد والذي بعده ، وتنصرم الأيام ، وأقرأ خلال ذلك أضعاف أضعافها من الكتب التافهة، والصحف والمجلات التي لا تفيد شيئاً ، وليس فيها إلا اللهو والتسلية وإضاعة الوقت ، وتبديد ساعات العمر ، وتبقى هذه الكتب مرصوفة على مكتبي يعلوها الغبار ، حتى ترفعها ربة الدار ، ولم أمسسها ولم أقترب منها .

ولو أني (وثبت إليها وثباً) لفرغت منها من زمان طويل .

وأنظر فأجدني قد كدت أنسى اللغة الفرنسية لطول ما أعرضت عنها ، وانصرفت عن الاشتغال بها ، وهي نافعة لي لا حباً بأهلها قبح الله أهلها ؛ بل لأن فيها حكمة ، والمؤمن يطلب الحكمة حيث وجدها ، وآسف أني بدأت بتعلمها من سنة ١٩١٨ وواليت دراستها حتى حذقت صرفها ونحوها ، ووقفت على شعرها ونثرها ثم نسيتها . وأعزم على تجديد العهد بها ، والعودة إليها ، وأهيء كتبها ومعاجمها ، ولكني لا (أثب) إليها . فتمضي السنون وأنا لم أشرع بها .

وأنظر فأرى الشحم قد ركبني ، والسِّمن قد علاني ، فأبطأ حركتي ، وأثقل أعضائي ، فأطالع كتب الرياضة ، وأستشير رجالها ، وأشتري أدواتها ، وأنوي أن أمارسها ، وأواظب عليها حتى يذهب شحمي ، وينشط جسمي ...

وأزمع وضع كتاب عن الخوارج ، وآخر عن المهلب ، وكتاب في الدين الإسلامي ، وأجمع المصادر وأرسم الخطط ، ولا يبقى إلا أن أمسك القلم لأكتب ...

وأحاسب نفسي ، فألقاها قد تنكبت طريقها ، وتحولت عن وجهتها ، وأنستها الدنيا آخرتها ، وصرفتها عن ربها ، فأعزم على التوبة ، والتحري في المطعم والمشرب ، وكفّ البصر وحفظ اللسان ، والمحافظة على السنن والنوافل ، وهجر رفاق السوء ، وصحبة من يذكّر بالله ويدلّ عليه ...

ولكني لا (أثب إلى ذلك) ، بل أقبل عليه متراخياً ، أرقب به يوماً بعد يوم ، فتمرُّ الأيام ، ولم أشرع برياضة ، ولم أبدأ بكتاب ، ولم أحقق توبة وإنما استسلمت للحياة فدار دولابها عليّ وأنا ساكن ، يصبح الصباح ويمسي المساء ، (والحالة هي هيَ ، والعيشة هي هيَ) ، ما نشطت بالرياضة جسماً ولا شحذت بالمطالعة عقلاً ، ولا زكيت بالتوبة نفساً ، خسرت هذا كله لأني عصيت أبي ، وخالفت عن أمره فلم أثب من الفراش وثباً ، وبعت هذه الخيرات بتمددي ساعة تحت اللحاف، فما أعظم المبيع، وما أقل الثمن!

وهذا هو مرضنا جميعاً ، وعلة عللنا وسبب أدوائنا ، وليس تنقص واحداً منا المواعظ والأفكار ، ولا يعوزه معرفة طرق الخير . فالمواعظ مبثوثة في كل كتاب ، ومترددة على كل لسان ، ومائلة حتى في وفاء الكلب ، وصبر الحمار ، ودأب النملة ، وتوكل العصفور وظاهرة في طبائع الأشياء ، وصفات الجمادات ، من شاء موعظة وجدها ، ومن ابتغى نصيحة وقع عليها . وطرق الخير معروفة لا يجهلها أحد ، فكل أب يجد إن فكر خطة لتربية ولده خيراً من خطته ، وكل تاجر يجد أسلوباً أحسن من أسلوبه لتوسيع تجارته ، وكل رجل يعرف الطريق لتحسين صحته ، وإصلاح سيرته في بيته مع أهله وزوجته ، وفي طعامه وكسوته ، وفي يقظته ونومته وأحمق الناس تمر به نفحات يرى فيها سبيل العقل واضحة ، وأفسق الناس تسمو نفسه لحظات يبصر فيها قبح الفسوق وجمال الطاعة ، ويشعر بالندم ويعزم على التوبة ، ولكن ينقصنا المضاء والتصميم و (الوثوب) إلى الخيرات حين تلوح لنا وتمر بنا .

هذا هو مرضنا الذي طالما أضاع علينا أموالاً ومكاسب ، وخيرات ومنافع ، وأخرنا والأمم تتقدم ، وهو مرض الجماعات منا والحكومات ، فاعرضوا تاريخنا الحديث تروا كم فرصة أضعنا وكم غنيمة فوتنا ، بل انظروا ما ذا صنعنا في هذه الحرب وحدها واعجبوا منا إذ فتحت لنا إلى آمالنا باباً واسعاً فلم ندخله ، ووضعت في أيدينا سلاحاً ماضياً فلم نستعمله : عجزنا أن نكون أقوى من عدونا ، فأضعفته هذه الحرب لنقوى بضعفه ، وشغلته عنا لننتهز

الفرصة فنسترد منه ما سلب منا، فأدركتنا رقة الشعور، فرحمناه، وأشفقنا عليه أن نزعجه بمطالبنا في بلواه، وآثرنا الذوق واللطف على واجب الوطنية والشرف، فلم نفتح أفواهنا لنقول له: «أعطنا الذي سرقته منا» بل أعنّاه على عدوه وعلى أنفسنا، وأيدناه بألسنتنا وأموالنا وأيدينا، وزعم لنا، أنه ما حارب إلا لينصر الديموقراطية، فقلنا: «صحيح. فلتعش الديموقراطية» وقال لنا إنه يبذل دمه ليدافع عن الضعاف المظلومين، ويطهر الأرض من النازيين الباغين، فقلنا: «بارك الله فيك، هذه شيمة السادة الأكرمين». وقال لنا، إنه إن يُغلب في هذه الحروب يهدم صرح الحضارة، ويهدّ بناء التمدن، ويرجع البشر إلى شريعة الغاب، وطبيعة الذئاب، فقلنا: «هذا لا شك فيه. فأنتم حماة الحضارة، وأنتم أهل المدنية، وما الألمان إلا برابرة همج متوحشون». ولم يكن فينا أمة عاقلة إلا الهند، فلم تجامل هذه المجاملة السخيفة التي جاملناها، ولم تقترف هذه الجريمة التي اقترفناها، ولم ترق مثلنا الدموع على باريس: دار الفئة الظالمين، أعداء العرب والمسلمين بل قامت تنادي بطلب الاستقلال، على حين كان أدباؤنا يمجدون الديموقراطية في الصحف، ومشايخنا يدعون لها على المنابر بالنصر فكانت عقوبتنا عاجلة، فلم تمر ثلاث سنوات على استجابة الدعاء وانتصار الأعداء، حتى فعل بنا أهل باريس التي بكينا عليها يوم نكبتها (جدد الله نكبتها) ولندن التي مجدنا ديمقراطيتها، ما لم يفعله هتلر باليهود، (وماذا فعل هتلر باليهود؟) ولاموسوليني في الحبشة، ولا الذئب بقطيع الغنم؛ فضربوا دمشق أقدم مدن الأرض بالقنابل، وذبحوا عشرات الألوف من أهل المغرب وأعانوا الهولنديين على الأندونسيين ليملكوا أرضهم، ويسلبوهم بلادهم، ويقتلوا أبناءهم، ويسرقوا ثمارهم، ورموا فلسطين بشذاذ الآفاق، ونفايات الأمم، أهل الذلة والمسكنة اليهود، ودفعوا إليهم الرصاص، وأعطوهم السلاح، فسلطهم الله عليهم حتى ذبحوهم بسلاحهم، ثم رأوهم لا يستحقون الرصاص فالرصاص للجندي الشريف، فأعدوا لهم السوط فجلدوا به جلودهم، ومزقوا أبشارهم، فصاروا بذلك أذل من اليهود... وتنكروا لمصر من بعد ما لجأوا إليها فآوتهم، وسألوها المال فأعطتهم، وخطبوا منها على ظلمهم لها الود فوادّتهم، واستنصروها وهم أعداؤها على قوم لم يعادوها فنصرتهم، فكان جزاءها منهم بعد ما أكلوا خبزها، وأخذوا مالها، وسكنوا في مساكنها، جزاء الذي أطعم الحية فلدغته، وآوى الضبع فأكلته.

فهل اعتبرنا؟ وهل عرفنا أن من لا (يثب) على الفرصة تفلت منه، ومن لا يضرب الحديد حامياً يبرد ويشتد فيعجز عنه؟ هل اعتزمنا (الوثوب) في فلسطين، وفي مصر، وفي المغرب، أم لا نزال نؤجل ونسوّف، حتى يأتي يوم لا ينفع فيه الوثوب، ولا يجدي العمل؟

* * *

هذه هي علتنا أفراداً وجماعات، مع أن المسلم أبعد الناس عن هذه العلة، وأحقهم بالبرء منها، لأن من مقاصد العبادات في دينه، تعليمه التنظيم والتصميم، لولا ذلك ما جعل الله للصلاة (وقتاً) إذا تقدمت عنه دقيقة لم تصح الصلاة، ووقّت للصوم وقتاً إن نقصت منه دقيقة فسد الصيام، وحدّد للحج وقتاً إن لم يكن فيه بطل الحج.

فيجب أن يجتمع لمحاربة هذه العلة، المعلم في المدرسة، والكاتب في الصحيفة، والواعظ في المسجد، حتى ننشئ نشئاً قوي الإرادة، ماضي العزم، (يثب) إلى غايته وثوب الأسد، ويحط عليها حط النسر، ولا يدع اليهود يكونون أمضى منه يداً، وأجرأ قلباً، وأعظم أثراً.

إن (الوثوب) إلى الخير، والثبات عليه، جماع الفضائل كلها، فإن تعلمناهما لم نحتج بعدهما إلى شيء.

علي الطنطاوي

الأزهر بين الجامع والجامعة

للأديب صبحي إبراهيم الصالح

... أقبل منذ نعومة أظفاره على الدين مولعاً بدراسته شغوفاً بأسراره شديد الرغبة في بثه وإحيائه ؛ حتى إذا نال الشهادة الثانوية في موطنه لبنان قدم القاهرة فانتسب إلى إحدى كليات الأزهر وإن في صدره لآمالا كباراً ، وأحلاماً عذاباً .

لم تكن آماله لنفسه فقد وهب للدين نفسه ، ولا أحلامه في شخصه ؛ وإنما كان كل رجائه ماثلا في الأزهر الشريف يرقب وثبته الداعية إلى الإصلاح ، وتطوره الباعث على التحرر .

أسرف في حسن ظنه بالأزهر : فما لبثت الأحداث أن صدعت الباب ، لتظهره على المستور من وراء حجاب !

واقتصد في حسن ظنه وأصبح ضنيناً في مدحه حين رأى الأزهر على حقيقته ... فاحترق من الألم فؤاده ، وتقطع من الألم قلبه ، وفاض من التحسر دمعه .

أخذ يستعرض في مخيلته صوراً للأزهر قد خلت فوجده — منذ بنائه إلى عهد قريب — غير مقصور على العبادة في خشية وخشوع ، ولا على الصلاة في تذلل وخضوع ، وغير مقصور على علوم الشريعة في تمحيص وتدقيق ، ولا على آداب اللغة في تبويب وتنسيق . وإنما كان نسيجاً من ذاك وهذه ، وكان النسيج من قوة الحبك ووثوق العرى بحيث استعصى على الحوادث حله مدى عشرة قرون حمل فيها الأزهر مشعل الحضارة بيده ، وبدا للعالم كله مثالا حياً للجامعة المقدسة الوقورة ، ونفر إليه الوافدون يتلقون في حلقاته علوماً يزينها الإيمان ، ومعارف يجملها الإخلاص ، وآداباً يصقلها الخلق المتين .

لقد كان الشرق عزيزاً بالإسلام ، يوم كان الغرب منزوياً في الظلام ... ثم سكر الشرق سكرة أضاعت رشاده ، فوثب الغرب وثبة بعثت جهاده !

وغلب الشرق على أمره فقلد الغرب في حضارته ، وتأثر به في مدنيته ، وانتقل بين عشية وضحاها من عهد مؤمن بالدين القويم ، مخلص لرسالته السامية ، خاضع لتشريعه الحكيم ، مذعن لأحكامه العادلة ، إلى عهد متفان في المادة الطاغية ، غارق في بحرها المتلاطم مسحور بمتاعها الكاذب ، مأخوذ بجمالها الخلاب .

* * *

ولا ريب أن مهابة رجال الدين تتفاوت قوة وضعفاً تبعاً لمكانة الدين في المجتمع ، وإن مكانة الدين في المجتمع تعلو وتهبط تبعاً لنشاط القوامين عليه ، الداعين إليه ، فلا عجب إذا أتى على علماء الأزهر حين من الدهر كانو فيه « ملوكا لا أمر فوق أمرهم ، ولا كلمة بعد كلمتهم » في عصر كان فيه صوت الدين مسموعاً ، وحكمه نافذاً ، وأنصاره كثيرين . ولا غرو إذا نزعت الحياة مهابتهم هذه في عصر خفت فيه صوت الدين . وعطلت أحكامه ، وقل دعاته . ولا بدع إذا سارع الأزهر — بدافع من حب البقاء ، وحافز من صيانة الحياة — إلى مسايرة العصر الحديث الذي يعيش فيه فانتقل من حلقات الجامع إلى فصول الجامعة ، ومن حصير الرواق إلى مقاعد الدراسة ، ومن سراج الزيت إلى نور الكهرباء ، محاولا أن يتبوأ مركزاً في الحياة ...

في مراحل هذا الانتقال أصبح عسيراً على الأزهر تعيين وجهته ، ورسم خطته : فقد تعددت أمامه السبل ، وتفرعت تحت بصره المسالك ، وتشعبت بين يديه الدروب ، ولبث في حيرة تنازعه فيها القديم والحديث ، فقيض الله رجالا أشربوا في قلوبهم الإصلاح بإيمانهم ، نخافوا على الأزهر أن يسحقه الجديد إذا بقي على القديم ، ولم يأمنوا أن يقطع صلته بماضيه إذا سارع إلى الجديد ، فتحفظوا وكانوا أمة وسطاً ، وأعلنوا للملأ شعارهم الخالد : « نحن لا نهجر القديم لأنه قديم ، ولا نعشق الجديد لأنه جديد » !

وكانوا حكماء بهذا التحفظ ، كما كانوا حكماء حين لم ينتظروا أن يتم الإصلاح في حياتهم ، فبدءوا سلسلة الجهاد ثم تركوها في أيدي أنصارهم وأعوانهم الذين غرسوا في بيئة الأزهر وفي البيئات الموالية له شريعة تهاون بها المجتمع ولم يرعها حق الرعاية .

ومع أن التحفظ خطة حكيمة فقد نجم عنه كبت للشعور ، وفي الكبت حرمان اللذائذ ، وفي الحرمان إثارة إلى مستعذب الرغائب ، وفي الإثارة تحد وإغراء ، فكان طبيعياً أن يضيق الأزهري بقيوده في عصر الحرية والانطلاق ، فينسى معاني الرضا

والقناعة المتمثلة في حصير الرواق وسراج الزيت وصومعة النسك، ويمسى حالماً بالوظائف والعلاوات، والمناصب والدرجات.

لكن هذا كله لم يذهب بحسنات التحفظ في نظر المنصفين الذين يعلمون أن الإصلاح التدريجي البطيء خير وأحسن من الانتقال الفجائي السريع، لأن في البطء اتزاناً ونظاماً، وفي السرعة اضطراباً وفوضى.

والحق أن في الأزهر اليوم نهضة إصلاحية كبرى يعترضها كثير من العقبات. والحق أن في الأزهر ومعاهده شباباً غير قلائل يلتهبون غيرة على الدين، ولكنهم يفقدون القيادة الحكيمة والتوجيه الرشيد. ولو ذللت العقاب، ووجه الشباب، لخطا الأزهر أشواطاً إلى الكمال. ولكن ... أين الأسود لتعلم الأشبال؟

أوضح الأستاذ الطنطاوي ما كان يتلجلج في الصدر حين وجه على صفحات الرسالة كلمة إلى الأزهريين (بمناسبة حادث الشيخ أبي العيون).

كانت الكلمة مكتوبة بشعور فياض، وعاطفة جياشة، فلم أتمالك نفسي وأنا أتلوها من التأثر والبكاء. ورحت أتلوها على إخواني الأزهريين من المصريين وغير المصريين، فلم أجد إلا عيوناً تفيض، وقلوباً تلين. وليس بالجديد أن يكتب الأديب بمداد قلبه، فكثيراً ما يغلب على الأدباء إرهاف الحس، فيقارن أحدهم بوحي من عاطفته ما يسأم العقل من مقارنته، أو يعل من تحليله وتعليله.

هذه المقارنة الشعورية التي تجلت في المقال لم يكن فيها مقنع للأستاذ الكبير العقاد الذي رد عليها تحت عنوان (جامع وجامعة) وإني إذ أوافق الأستاذ على أن الشرق في أشد الحاجة إلى تحويل أفكاره من مقارنات الشعور إلى مقارنات العقول، أرى أن موضوع الأزهر خاصة وبعض الموضوعات الأخرى ما برحت في حاجة إلى المقارنة الشعورية بين وقت وآخر، على شرط ألا يخالف الشعور العقل في حكمه، وإن خالفه في أسلوبه ونظمه.

إن هذه الحياة — كما هي بحاجة إلى العقل في حكمه الراجح الوزون — لا نستطيع أن نتجاهل أنها في بعض الأحيان بحاجة كذلك إلى الشعور في تصوير الحكم العقلي الجاف بصورة عاطفية مثيرة؛ وإلا فلن يكون للخطباء تأثير، ولا للشعراء تقدير، ولا للأدباء إجلال.

وإني لأعجب للأستاذ الفاضل — وهو الأديب الذي تفخر العروبة بآثاره — كيف استنبط من مقال الطنطاوي أن علة العلل في الأزهر هجرانه حصير الرواق وسراج الزيت وصومعة النسك، وأن البركة كل البركة مرهونة بالعودة إلى هذه الأشياء. وإني لأكثر عجباً بموازنة الأستاذ بين صلة الترام بقلة البركة في البيعات والمشتريات وبين صلة سراج الزيت بما كان عليه الأزهر وما صار إليه.

ليسمح لي الأستاذ الذي كثيراً ما تعلمت من مقالاته حرية البحث أن أكون حراً في نقدي إذا رضي أن يسميه نقداً وفي حكمي على موازنته بأنها قياس مع الفارق، ليس في رأيي فقط، بل في رأي إخواني الأزهريين الذين تلوت الرد عليهم فلم يجدوا فيها مقنعاً. والأزهريون — كما جاء في مقال الأستاذ — أفنوا حياتهم في دراسة المنطق، والتمكن من أسسه، والتدرب على صحة أقيسته التي تعصم الأذهان من خطأ التعليل، فلهم إذاً حق المناقشة والانتقاد.

وإني مستعد بلا ريب لتحمل مسئولية كلامي حين حكمت على تلك الموازنة بأنها قياس مع الفارق لأن الذي جعل للترام علاقة بقلة البركة رجل من عامة الناس باعتراف الأستاذ؛ أما الذي جعل لسراج الزيت علاقة بماضي الأزهر وحاضره فأديب كبير يعرف فضله الأستاذ.

ولست أزعم أن الأديب معصوم، فما أكثر ما يخطئ الأدباء! لكني لا أرى من الإنصاف للأستاذ الطنطاوي أن نحسبه يصور مابنفسه تصور العوام، أو يجري في وصف شعوره على مايجري عليه الجهال، كأنه يعجز عن الموازنة بعقله، أو يرتبك في المقارنة بمنطقه.

ليس حنين الطنطاوي إلى حصير الرواق ليعود الأزهري إلى النوم عليه ولكن لأن فيه معنى القناعة ..

وليس تشوقه إلى سراج الزيت ليعود الأزهري إلى القراءة عليه ولكن لأن فيه معنى السهر في المطالعة والتحصيل ...

وليس شغفه بذكرى صومعة النسك ليعود الأزهرى إلى الانقطاع بين جدرانها ، ولكن لأن فيها معنى التعفف والتقوى والصلاح ...

وليست الأمثلة التى سردها عن العلماء الأعلام ليرغب الأزهريين فى تقليل نصيبهم من المشاركة فى الحياة العملية ، ولكن لأن فيها إشادة بالمثل العليا التى كانت أخلاق الأسلاف ...

وليست كلمته فى ختام مقاله (يا إخواننا لم نجد والله خيراً فى الجامعة الأزهرية فردوا علينا الجامع الأزهر) لينتقل بالأزهريين من جديد إلى الدراسة فى حلقات الجامع ، ولكن لأن فيها مطالبة بإفاضة التقوى التى كانت روح الجامع الأزهر . فينبغى أن تكون روح الجامعة الأزهرية ! ! !

هذه الروح الطيبة هى التى فهمتها وفهمها إخوانى من غضون الكلمة ، ومن أجل ذلك بكيت وبكوا .

ولو استردت الجامعة الأزهرية هذه الروح لأدت رسالتها الأولى فى بيان حكمة التشريع الإسلامى ونشر السلام فى ربوع العالم تحت إشرافه ، ثم لأدّت رسالتها الثانية التى لا تقل عن الأولى خطراً فى استخراج حقائق « العلم الذى يعمل به المسلمون وغير المسلمين ، وفى تدارك عيب العصر الحاضر . وهو العيب الجسام الذى يتمثل فى العزل بين عالم العقل وعالم الروح . فيتمثل فيه الرجل وهو مؤمن ويؤمن فيه وهو عالم ، ويحسن قيادة المتدينين المتعلمين » .

تغمد الله الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق بسحائب رحمته ، فقد كنت مثلك كبير الرجاء — يا سيدى العقاد — فى إنجاز هذه المهمة على يديه !

قابلته رحمه الله أول ربيع الأول مع وفد من زملائى المصريين فى كلية أصول الدين ، وألقيت بين يديه كلمة جرى بها قلبى قبل لسانى ، رجوته فيها بتعديل الدراسة فى الأزهر على أحدث المناهج العصرية ، ليتمكن خريجه من أداء وظيفتيه فى ثقافة العقل وثقافة الروح . ولست أنسى مدى حياتى تلك الدمعة الطاهرة التى اغرورقت بهما عيناه وهو يقول بحضور فضيلتى وكيل الأزهر ومديره : « يا أبنائى هذه هى النهضة المباركة التى طالما تمنيت أن يسعى إليها أبناء الأزهر ، وإنى لأرجو أن تهيئوا الجو الصالح لأواصل عملى فى اتزان وسكينة » .

ولقد وفى رحمه الله بوعده فبقى يواصل العمل حتى توفاه الله إليه . وعسى أن يكون خلفه محققا لرغبات الأزهر فى الإصلاح .

وبعد ، فإن الطالب الأزهرى اللبنانى لم يكتب هذا المقال إلا ليصور آلامه وآماله ، وإنه ليغتنم هذه الفرصة السانحة فيناشد الأستاذين الكبيرين العقاد والطنطاوى أن يواصلا الحديث عن الأزهر ، وأن يقوما بقسطهما فى توجيه شبابه ، حتى يعود الأزهر جامعاً لله فيه قداسة الجوامع وهيبتها ووقارها وجامعة للناس فيها علوم الجامعات وفنونها وآدابها ، وفيها — فوق ذلك — روح تخرج الناس من الظلمات إلى النور .

صبحى إبراهيم الصالح
كلية أصول الدين

النطق وكيف نشأ فى الانسان وفى الحيوانات العليا ؟

للأستاذ نصيف المنقبادى المحامى

٢ — نشوء النطق فى النوع الإنسانى

أثبتنا فى مقالنا الأول بالمشاهدات والاختبارات المختلفة أن النطق ليس غريزياً فى الإنسان ولا هو قاصر عليه ولا يميز له دون الحيوانات الأخرى ، بل هو ظاهرة فسيولوجية بسيكولوجية طرأت عليه وعلى بعض الطيور وعدد من الحيوانات العليا وعلى الأخص القرود الشبيهة بالإنسان ، وإنما الفرق بين الإنسان وبين الحيوانات هو فرق فى الدرجة ليس إلا .

ونتكلم اليوم عن كيفية نشوء النطق فى الإنسان فنقول : إن لنا فى كيفية نشوء النطق فى الأطفال الآن وفى اللغة البسيطة التى يبدأون بها الكلام ، وكذلك فى لغات بعض القبائل المتوحشة الحالية ، صورة مصغرة من كيفية نشوء النطق فى أول أمره .

إن كل ما يمتاز به البشر عن الحيوانات الأخرى من هذه الناحية هو نمو المخ وبالتالى النشاط العقلى من جهة ، ونمو التكوين التشريحى والفسيولوجى للأعضاء التى تشترك فى عمليات النطق من جهة ثانية ، ونمو الحياة الاجتماعية من جهة ثالثة فى النوع الإنسانى أكثر منه فى الأنواع الحيوانية الأخرى للأسباب الطبيعية التى سيأتى الكلام عليها .

وقد بيّنا فى مقال نشر فى « الرسالة » منذ بضع سنين أن الظروف الطارئة المحلية التى اضطرت أجدادنا البعيدين إلى الالتجاء للغابات ليحتموا بها ويقتاتوا بثمارها أدت إلى نمو اليدين أثر استعمالها فى تسلق الأشجار والقبض على فروعها . ومن القواعد المقررة فى علم الحيوان أن جميع الحيوانات والطيور التى تعيش على الأشجار يقابل بعض أصابعها البعض الآخر للقبض على الفروع والأغصان . وهذا ما حدث للانسان وللقرود وباقى مرتبة الحيوانات الرئيسية (Primates) وقد سميت هكذا من باب التفخيم والتعظيم لأن من بينها النوع الإنسانى .

ولقد توسع الإنسان فى استعمال يديه بعد ذلك بالقبض على مختلف الأشياء ورفعها وفحصها ونقلها وكسرها وتقطيعها وتهيئتها لأغراضه المختلفة فخف العمل إلى حد كبير عن الفكين اللذين كانا يقومان بجميع تلك الأعمال ولهذا تقلصا وصغر حجمهما فى الإنسان إلى الشكل الذى هما عليه الآن بعد أن كانا على درجة كبيرة من الضخامة وممتدين إلى الأمام ، وكانت تحركهما عضلات قوية تصل إلى قمة الرأس من كل ناحية فتلتف حول الجمجمة وتقيدها وتحول دون نموها ونمو ما تحتويه وهو المخ مركز التفكير وآداته . وقد صغر حجم الفكين فى البشر أكثر منه فى القرود العليا الأخرى لأسباب محلية خاصة طرأت مصادفةً على الفريق الذى تحوّل شيئاً فشيئاً إلى النوع الإنسانى .

وكان من نتيجة تقلص الفكين فى الإنسان بعد أن صارا قاصرين على مضغ الطعام أن قل بالتبعية شأن العضلات المحركة لهما وصغر حجمها وصارت لا تصل إلا إلى أعلى الخدين بالقرب من الأذنين فتحررت الجمجمة من قيودها وتخلصت من ضغطها وخلا لها الجو فنمت ونما معها ما بداخلها وهو المخ نمواً كبيراً وهذا هو السر فى تفوق الإنسان العقلى العظيم(١)

وترتب أيضاً على نمو اليدين واستخدامهما فى كافة أعمال الحياة أن زالت الحاجة إلى الذيل فضمر وزال بعدم الاستعمال فى الإنسان وفى القرود العليا (الغورلا ، والشامبنزيه ، والأورنجوتان والجيبون) .

غير أن الذيل يظهر فى أجنتها بما فيها النوع الإنسانى فى أول أطوار تكوينها ثم لا يلبث حتى يضمر ويزول جرياً على نواميس الوراثة الطبيعية لأن من القواعد المقررة فى علم تكوين الجنين أن كل فرد يمرّ وهو جنين بجميع الأطوار التى مرّ بها

(١) أجرى بعضهم تجربة لمحاولة نفى هذه الحقائق بان استأصل عضلات الفكين عند أعلى الصدغين من بعض الحيوانات العليا فلم تنم الجمجمة ولا المخ أكثر من المعتاد . غير أنه دل بهذا على تفكير صبيانى وجهل بأصول العلوم البيولوجية ونواميسها لأن ما يطرأ على أفراد الكائنات الحية من تشويه عارض أو بتر أعضاء لا ينتج نتائج حالية دائما وانما يحدث ذلك للتغيرات الطبيعية التى يستمر فعلها الاحقاب الطويلة والا لوجب مثلا أن يولد الآن أبناء المسلمين واليهود مختونين طبيعيا حيث تجرى لأبائهم وأجدادهم هذه العملية من زمن .

نوعه فى الأزمنة الغابرة . وهو مايعبرون عنه بقولهم : « إن تطور جنين الفرد يلخص تطور نوعه » — وهذا دليل من الأدلة المختلفة على صحة ناموس التطور والتسلسل — وما زالت فى الإنسان وفى القرود العليا المشار إليها بقية أثرية من الذيل وهى عبارة عن بضع فقرات ضامرة ملتحم بعضها ببعض فى آخر السلسلة الفقرية ويسمونها : (Coccyx) .

ومن نتائج نمو اليدين أيضاً أن صغر حجم الأسنان لعدم استعمالها إلا فى مضغ الطعام ، وخاصة الأسنان الأمامية : الأنياب والأسنان القاطعة فصار المجال أوسع أمام الشفتين ، وكانتا فى الوقت نفسه قد ترهلتا — نتيجة صغر حجم الفكين — إلى أن تحولتا (الشفتان) شيئاً فشيئاً إلى أداة صالحة للابتسام والنطق

وخلاصة القول إننا مدينون بنمو مخنا وعقلنا ، وتفوقنا على باقى الحيوانات الأخرى ، واستعدادنا للنطق بوضوح وبسهولة أكثر من الأنواع الأخرى ؛ إلى نمو يدينا ، نتيجة اعتياد أجدادنا البعيدين الحياة على الأشجار وتسلقهم إياها وقبضهم على فروعها وغصونها ألوفاً من السنين . ولا شك فى أن التجاءهم إلى الأشجار والغابات كان لأسباب طبيعية طرأت عليهم مصادفة كأن يكون الغذاء الذى كانوا يعيشون عليه من قبل قد قل أو انعدم فاضطروا إلى تسلق الأشجار ليقتاتوا بثمارها ، أو أنهم احتموا بها هرباً من الوحوش الكاسرة أو الزواحف والحشرات السامة أو من كوارث الطبيعة كالغرق وغيره . وهكذا أدت تلك العوامل المحلية الطبيعية المحض إلى نتائج هائلة لم تكن منتظرة

ولا يفوتنا أن نقول كلمة عن مراكز النطق فى مخ الإنسان فقد تطورت للقيام بوظيفتها هذه ، إما بنموها نمواً كبيراً أكثر مما كانت عليه فى الطيور والقرود العليا ، وإما بتحول بعض مراكز أخرى فى المخ عن وظائفها الأصلية إلى وظيفة النطق المركزية . وإن حدوث هذا التحول فى أعضاء الحيوانات والنباتات وفى أنسجتها من وظيفة إلى أخرى لكى تلائم الكائنات الحية الظروف المستجدة والعوامل الطبيعية الطارئة أمر شائع ومعروف فى العلوم البيولوجية كتحول الأقدام إلى أجنحة فى الزواحف القديمة التى اضطرتها الأسباب المحلية الحادثة أن تقفز من شجرة إلى شجرة أو من شاطئ إلى شاطئ إلى أن اعتادت الطيران ، وتحولت إلى صف الطيور كما تنطق بصحة ذلك أحافير الصور أو الحلقات المتوسطة التى عثروا عليها متحجرة فى طبقات الأرض التى تكونت فى تلك الأعصر الجيولوجية القديمة ، وعلى الأخص الاركيوبتيركس Archéopterex وهو شكل متوسط بين الزواحف والطيور . ومثل تحول قشر السمك إلى الأسنان فى الزواحف وذوات الثدى التى منها الإنسان ، وتحول قشر السمك أيضاً إلى القشر الضخم الذى يغطى أجسام التماسيح ، وإلى الهيكل الكبير الجامد الذى تتكون منه ظهور السلاحف .

ولعل مراكز النطق هذه التى نحن بصددها نمت فى النوع الإنسانى أكثر من اللازم حتى صار حيواناً ثرثاراً كثير الكلام كما قلنا فى مقالنا السابق .

* * *

ومن العوامل الرئيسية الهامة التى دعت الإنسان إلى النطق والكلام ، الحياة الاجتماعية . فبعد أن كان أجدادنا البعيدون يعيشون فرادى لاحظوا أنه كلما صار فريق منهم جماعة يستطيعون القيام بالأعمال التى لا يقوى عليها الواحد منهم منفرداً كالدفاع عن أنفسهم ضد وحش مفترس أو كصيد فريسة كبيرة أو زحزحة صخرة ضخمة أو تسلق شجرة عالية لجنى ثمارها أو تقطيع أخشابها لتهيئة مأوى أمين وغير ذلك من صعاب أمور الحياة . ولكن حياة جماعاتهم هذه كانت قصيرة الأمد فى بادئ الأمر لأن الأقوياء منهم كانوا يبطشون بالضعفاء ليستولوا عنوة أو خلسة على ما حصلوا عليه من الغذاء أو الأثاث أو المأوى الصالح ، فلا يلبثون أن يتشتتوا هرباً من اعتداء بعضهم على بعضهم ، فيشعر الفرد منهم بضعفه وهو وحيد أمام قوى الطبيعة والوحوش المفترسة الخ . فيجتمعون ثم يتشتتون ثم يجتمعون ، وفى كل مرة يزدادون اقتناعاً بفوائد الحياة جماعة ، وأخيراً فطنوا إلى أنه لا بد لبقائهم مجتمعين من احترام حياة الغير وملكيته وأنانه وغير ذلك من القواعد التى دعت إليها المصلحة المحض — مصلحة الجماعة وبالتالى مصلحة الفرد وانتقلت هذه الصفات أو القواعد — التى نسميها حميدة لأنها منافعه — من الآباء إلى الأبناء ، ومن جيل إلى جيل حتى صارت غريزية فينا أو كادت ، وهذا هو منشأ الغريزة الاجتماعية الأخلاقية فى الإنسان وفى الحيوانات

التي تعيش جماعة كالنمل والقرود العليا .

نعود إلى النطق فنقول : إنه ما إن بدأ أفراد الناس وأفراد باقي الحيوانات الاجتماعية يعيشون جماعة حتى شعروا بالحاجة إلى التفاهم بعضهم مع بعض والتعبير بأية وسيلة عما يجول في خواطرهم مما يهم كل واحد منهم أو يهم الجماعة . وكان الاستعداد للنطق قد تحقق عندهم بعد أن نما مخهم ، وتقلص الفكان ، وصغر حجم الأسنان ، وتحررت الشفتان وترهفتا على الوجه المتقدم بيانه ، نتيجة لنمو اليدين ، بسبب تسلق الأشجار والحياة في الغابات . فأخذوا يحاولون بعضهم التفاهم مع بعض بمختلف الطرق .

التفاهم بالإشارات :

أخذ الناس وسائر الحيوانات العليا — ومثلهم الأطفال الآن — يبدون إشارات كانت في بادىء الأمر آلية غير اختيارية ولا تقليدية تدل على الانفعالات النفسية أو الحاجات الجسمانية الحيوية وهذه الإشارات ترجع إلى عوامل بيولوجية وفسيولوجية بعضها معروف أسبابه وبعضها مجهول كتقطيب الوجه عند الغضب أو الحزن وكالابتسام عند الارتياح والسرور وكهز ذيل الكلب عند الفرح والترحيب بقدوم من يحب ، وكهز رأس الإنسان للدلالة على التعجب وانحنائها للدلالة على الذلة والخضوع ، وكالعض على الأصابع للدلالة على الندم ، وككثير من الإشارات التي يصاحب بها الإنسان كلامه الآن ويمكن ردها إلى عوامل بيولوجية قديمة ورثناها عن أجدادنا الذين تسلسلنا منهم .

ثم اعتاد الإنسان أن يقوم بهذه الإشارات بمحض إرادته للتعبير عن المعاني التي تؤدي إليها فصارت اختيارية . فإذا أراد أن يعبر عن استهجانه لشيء أو كراهيته لشخص تراه يقطب وجهه كأنه يقول : « إني أكره هذا » . ومثل ذلك ما اعتاده الناس من قديم الزمان أن يرفعوا رؤوسهم إلى أعلى للتعبير عن النفي أو يهزها إلى اليمين واليسار لهذا الغرض نفسه . كأنهم يقولون «لا» كما أنهم يعبرون عن الإيجاب بخفضها نحو الأرض بمعنى « نعم » .

ثم أخذوا يعبرون عما يقصدون بتقليد شكل الأشياء التي يريدون الإفصاح عنها أو عن بعض صفاتها كما يفعل الأطفال والخرس الآن .

وبعد أن كانت إشارات الإنسان في أول الأمر تعبيراً عن المحسوسات والأجسام المادية تطورت تدريجياً تحت تأثير حاجات الناس المستمرة وارتقاء حياتهم الاجتماعية والعقلية وتحولت (أي الإشارات) إلى التعبير عن المعاني الرمزية والمعنوية . فبعد أن كانوا يعبرون عن الصخر مثلا بالإشارة إلى قطعة منه صاروا يدلون بهذه الإشارة إلى معنى الصلابة . وهذا ما تفعله إلى الآن كثير من القبائل البعيدة عن العمران سواء في إشاراتهم أو في لغاتهم الكلامية البسيطة المحدودة . وهذه هي أيضاً إشارة الخرس عن هذا المعنى — معنى الصلابة .

ومما يروى على سبيل الفكاهة لهذه المناسبة أن خرس برلين يعبرون من زمن عن شخص فرنسي بحركة يدهم بعنف على رأسهم من الخلف كمن يحاول قطعها . وقد اتضح أن هذه الحركة تشير إلى حادث موت لويس السادس عشر ملك فرنسا الذي أعدمته الثورة الفرنسية بالمقصلة .

(يتبع)

نصيف المنقبادي
المحامي

صور من حياة الانجليز الاجتماعية
في القرن الثامن عشر
للكاتب العظيم يوسف أديسون

بقلم الأستاذ علي محمد سرطاوي

١٦٧٢ — ١٧١٩

حياة المؤلف :

« أتم دراسته في جامعة اكسفورد ، متمكناً من اللاتينية تمكناً أثار إعجاب الشاعر دريدن ، للقصائد الرائعة التي كان ينشرها بتلك اللغة . ونشر ١٧٠٤ ملحمة بعنوان (كمباين) أي الحملة ، أشاد فيها بالنصر العظيم الذي انتصره الانجليز في معركة بلنهيم . وفي ١٧٠٦ عين عضواً في مجلس النواب البريطاني فوزيراً للدولة . وسافر بعد ذلك إلى أرلندا سكرتيراً لحاكمها العام اللورد ورتون . وكان صديقاً حمياً لرجال الأدب في عصره مثل ستيل ، وسوفت وفي عام ١٧٠٩ ابتدأ سلسلة مقالاته الاجتماعية والأدبية التي صور فيها حياة الانجليز أتم تصوير ، والتي ننقل عنها هذه الصور الاجتماعية ، وأخذ ينشرها في صحيفة صديقه الحميم ريتشارد ستيل التي كانت تصدر باسم تتلر . وفي عام ١٧١٢ تعاون مع صديقه ستيل على إصدار صحيفتي السبكتاتور والغارديان . ولما عاد حزب الأحرار إلى الحكم عام ١٧١٥ عين سكرتيراً عاماً لإرلندا وأصدر جريدته السياسية فري هولد . وفي عام ١٧١٦ عين مديراً للتجارة وتزوج من الكونتس ورويك . وترك الخدمة العامة سنة ١٧١٨ براتب تقاعدي مقداره ألف وخمسمائه جنيه في العام وتوفي في السنة التالية ودفن في كنيسة وستمنستر مقر العظماء .

لقد رثاه شاعر وهجاه آخر بعد موته ، وللرثاء والهجاء قصة نوجزها فيما يأتي : كان توماس تكيل يعيش في رعاية أديسون وكان يعطف عليه أشد العطف وقد تخرج في اكسفورد أيضاً . وكان الشاعر الكسندر بوب ينشر ترجمة الألياذة ، وكلما نشر فصلا ، أسرع تكيل إلى نشر الفصل ذاته من ترجمته في جرائد ستيل ، فكان يجن بوب من ذلك ويفترض أن أديسون هو الذي يحرضه على ذلك . ولذلك كان الرثاء الموجع من الشاعر تيكل ، والهجاء المقذع من بوب »

مباراة في التكشير :

أشرت في مقال سابق ، إلى اقتراح قُدّم باجراء مباريات بين الفنانين ، وتخصيص الجوائز ، تشجيعاً للانتاج المحلي في الصناعات اليدوية بين الصناع البريطانيين ؛ وقد أدهشني بعد ذلك الإعلان التالي في صحيفة بوست بوى في عدديها الصادرين في الحادي عشر من الشهر الجاري والخامس عشر من شهر أكتوبر التالي ،

« سيعطى إناء خزفي قيمته ستة جنيهات جائزة لسباق يقام في كولزهل من مقاطعة ورويك شير بين الجياد الصافنات ، وسيعطى إناء خزفي آخر ، أقل قيمة من الأول ، لسباق بين الحمير ، وخصص خاتم ذهبي ، لمباراة تقام في نفس اليوم بين الرجال في التكشير » .

أما أولى هذه المباريات فقد تكون لها فائدة معقولة ؛ وأما المباراتان الأخريان ، فلا أرى لهما فائده معقولة . أما لما ذا يريدون إقامة مباراة بين الحمير وأخرى بين الرجال في وروك شير ، دون أي مكان في انجلترا ، فهو أمر لا أستطيع له فهماً وتعليلا . لقد قرأت كثيراً عن الألعاب الأولمبية ، فلم أجد فيها سباقاً للحمير أو مباراة للتكشير ؛ ولكن مهما كانت الأسباب المؤدية إلى ذلك ، فقد اتصل بعلمي أن مجموعات من الحمير تدرب ويسخى عليها في الطعام ، وأن عدداً كبيراً من الرجال على بعد عشرة أميال من مكان المباراة — يقضي الواحد منهم الساعات أمام المرآة يمرن عضلات وجهه استعداداً لذلك اليوم العظيم .

لقد أثارت الجائزة المقترحة تنافسا كبيراً بين طبقات الشعب ، حتى ليخشى أن تتشوه الوجوه ، ويعرف الرجل أنه من وروك شير، بمجرد تكشيره . لقد كانت التفاحة الذهبية جائزة الجمال الساحر في الماضي ، فأصبح الخاتم الذهبي جائزة تشويه ما ركب الخالق من جمال في الوجوه .

وإنه لمن دواعي الغبطة أن ألفت نظر الفنانين الهولنديين ، إلى اغتنام هذه الفرصة لرسم مجموعة من الوجوه التي ستشترك في تلك المباراة العتيدة .

وتذكرني هذه المناسبة ، بحديث اتصل بي من رجل قرأ الإعلان عن مسابقة التكشير التي نحن بصددها ، فحدث أصحابه القصة التالية :

حينما سقطت مدينة نامور ، كان بين الاحتفالات الشعبية ، مباراة في التكشير ، على خاتم قدمه قاض من حزب الأحرار .

وكان أول المتبارين رجل فرنسي ، مرّ عرضاً بتلك المدينة ، وخيل إليه أن نحافته وقبح وجهه ، ربما كانا عوناً له على نيل الجائزة ، فوضعت له منصة أمام الجمهور وطلب إليه أن يصعد إليها وأن يواجه الناس . وابتدأ يشد عضلات وجهه ، ويديرها يمنة ويسرة ، وقد استطاع أن يظهر عشرين سناً من أسنانه في التكشيرة الأولى ؛ وسرت همسات الاستياء بين الناس مخافة أن يظفر هذا الأجنبي بشرف الجائزة ، ولكن حسن الحظ أظهر أنه لا يجيد إلا التكشير المرح ، فلذلك لم يظفر بالجائزة .

واعتلى المنصة بعده إنجليزي ، يعتبر الأول في فن التكشير ، فأجاد إجادة لا مزيد عليها ، حتى لقد قيل إن عشرات من النساء الحبالى أجهضن ، ولكن المحكمين أخبروا بأن الرجل يعقوبي (نسبة إلى أتباع الملك جيمس الثاني أو ابنه) ، وساء الجمهور أن ينال الجائزة رجل يخرج في عقيدته السياسية على العرف العام ، وأن يصبح بطل التكشير في المقاطعة ، فطلبوا إليه أن يقسم يمين الولاء للنظام الحاضر ، فرفض وكان السرور عظيما بإخراجه من بين المتبارين

وتقدم بعده للمنصة عشرات من المتبارين كان سوء الحظ حليفهم ، واست أنسى من بينهم فلاحاً يعيش في طرف ناء من المقاطعة ، رزقه الله فكين طويلين ، كشر بهما عن سحنة الشياطين نعوذ بالله منها . وقد أدهش الجمهور بمهارته في تكشيرة معقدة ، وكادت الجائزة أن تعطى له لولا أن أحد المتبارين برهن للمحكمين على أنه استعمل الغش في المباراة ؛ ذلك أنه قد مرن عضلات وجهه على نوع من عصير الفاكهة أكسب تلك العضلات هذا اللين العجيب ، وأن حبة زعرور قد وجدت قريبة من مكان وقوفه ، فوافق المحكمون على إخراجه باعتباره محتالا .

وتقدم بعد هؤلاء إسكافي يدعى جيلز جورجون Giles Gorgen دلت المقدمات على أنه سيربح الجائزة لإظهاره ألواناً من التكشير ، اخترعها ، وهو يجاهد في رتق الأحذية . لقد ذهبت الملامح الإنسانية من وجهه في التكشيرة الأولى ؛ وانقلب وجهه في الثانية إلى ما يشبه المزراب ، وأصبح قرداً بشعاً في الثالثة ، وأصبح رهيباً كذئب البحر في الرابعة ، وككسارة اللوز في الخامسة ، وكان إعجاب الجمهور عظيما بمهارته فمنح بالإجماع الخاتم الذهبي . وأعجب ما يتصل بهذا الإسكافي ونيله الجائزة ، أن فتاة ريفية جميلة طالما تودد إليها هذا الرجل فرفضته في الماضي ، وما كادت تراه يتسلم الجائزة الثمينة بين إعجاب الجمهور وهتافه وتصفيقه حتى سارعت إليه تطلب وده ، وتزوجا في الأسبوع التالي ، وكان خاتم الخطبة تلك الجائزة التي تعتز وتباهي لداتها بها .

ليس في النية أن تنتهي هذه المقالة بأفكار جديدة ، إنما ألفت نظر المسؤولين عن إقامة هذه المباريات إلى الجرم الشنيع الذي يقترفونه في حق مواطنيهم بتشجيعهم مباريات حيوانية منحطة من هذا النوع ، أقل ما يقال فيها إنها دعوة علنية إلى التشبه بالقردة والحيوانات ؛ وأنهم يملأون رؤوس هؤلاء الجهلاء بطموح رخيص ، بدلا من الارتفاع بهم إلى مستوى تهذيبي يليق بالإنسان .

علي محمد سرطاوي

مراجع هذا البحث :

(1) Essays of Hddison
(2) Oxford Companion of English Literature ; Harvy.

فنان ...!

للاستاذ ثروت أباظه

يسقط على مجلسك دون أن تعرفه ، فلا تملك إلا أن تنعم فيه النظر ، فهو أشعث أغبر كأنه ابن السلكة قد وافى بعد إيغال فى شعاب الصحراء ... ضامر شاحب كأنه عامل قد أضرب عن الزاد ، قذر الملبس يذكرك بالمار أمام منزلك صندوقه على كتفه يصرخ بأعلى صوته (بوابير جاز أصلح)

تريد أن تسأله من أنت ... والويل لك إذا فعلت ... إنه لا يسمح لإنسان ألا يعرفه وقد أفنى نفسه فى سبيل الشهرة ... إن غيره لا يجهد سوى عقله وقلمه فينالها . أما هو الشاعر الحق فقد أجهد عقله حتى جهد . . وقلمه حتى تحطم وجسمه حتى ذوى ، ثم أنت لا تعرفه ؟ ! ففيم إذن أهمل هذه اللحية وجملك لا تعرف أن كان يزيلها أو هو يرسلها . . . أليس هذا فناً ؟ . وفيم إذن أطلق حول أذنيه هذه الإطارات من شعره . . كثة تكاد تخفى أذنه . . طويلة توشك أن تصل إلى فكه . . وفيم إذن ركب لنفسه هذا الرأس الثانى من الشعر ... إن غطى الطربوش رأسه الأول برز من خلفه يخبر أنه . . فنان . . لا . لا . لابد أن تعرفه أردت أو لم ترد . . تعرفه هكذا دون أن يخبرك . . إن سألته من أنت ؟ ثار فى وجهك وزجر واستأسد بعد خنوع ، إنه فنان يجلس إليك فيخبرك أنه لم ينم ليلته وأنه هكذا دائما . . هائم على وجهه فى غير مهم . . . شارد فى غير مشرد إنه فنان . . والفن فى اعتقاده عزوف عن الراحة وشذوذ يفتعله هو . . قد لا يتحدث عن نفسه فيروح يرصف القواعـد للعبقرية ويضع الخطوط الواضحة بينها وبين الاكتمال العلمى فهو يقول إن العلم شىء سهل الحيازة دانى القطوف . . يستطيع أى قدم أن يكون عالما ولـكن العبقرية قبس من الأشعة الإلهية أرسله الله إلى صاحب القسمة فهو شارد اللب يمشى دون وعى ويجلس على غير علم ، إنه من الواصلين هكذا هكذا . . ولـكن ماذا أفاد الرجل من كل هذا . . انتظر . . انتظر هاهو ذا يتبعه بجملته الخالدة ، والله كثيراً ما أمشى فى الشوارع دون أن أعرف لنفسى اتجاهاً ، إنه عبقرى ما أسهل العبقرية وما أشبه المباقرة بمهال التنظيم ... هكذا الرجل لا يهمه بعد هذا إن كان فنه ناضجاً أو فجاً . المهم أن يتشموذ وأن يعرفه الناس هكذا وهو بعد فنان ... أراد الفن أو أبى ، لا تظلم الرجل إنه لا يأتى هـذا تصنعاً ولـكنه تطبع طال به الأمد فأصبح طبعاً .

يتحدث إليك عن حب خاب وأمل خبا ، ثم عن حب مازال متقد الجذوة ، وهو إن فعل نظر إلى شىء خلفه يشبه الإنسان وسأله ان يخبرك عن « ليلى » مايعلم فيأخذ شبه الإنسان فى الكلام واصفاً المحبوبة ... فتتوقع أنت فى هذه اللحظة أوصافاً تخجل الشمس إبان صحوها وتزرى بالغصن أوده الصبا ... تهيأ أذنك لأوصاف المحبوبة لا يخالجها شك فى جمالها وفتنتها ، ولـكن هذا أمر طبيعى ليس فيه شذوذ ؛ أو يرتضى الفنان لنفسه أن تطلق على سجيتها الأولى ولو فى الحب ؟ لا ودون ذلك الفن أجمع ... ها هو ذا الواصف يخبرك أن الحبيبة سوداء مفلفلة الشعر معبلة ، مثقلة الشحم ؛ ثم يلتفت بعد هذا إلى الفنان يسائله فى عجب ما يزال متمكناً : لم تحبها ... إن كثيرات غيرها يهوينك ويودهن لو نظرت إليهن ولو نظرة واحدة يلتفت إليك الفنان متعجباً من نفسه هو أيضاً ولـكنه يحاول أن يغالط نفسه قليلا فيخبرك أن معشوقته شديدة الحساسية عليمة بنبضات الشعر وخفقات الشعور . وإنها — وهو المهم — تحترم شعوره الحساس الرقيق فهو قد يغضب وقد يضربها ولـكنها لاتؤذى إحساسه بكلمة وتحافظ على كرامته ما وسعها الحفاظ ومهما كلفها تلك الخطة من إجهاد لشعورها الرهيف ... وجماع أمرها وأمره أنها تفهمه وأنه يفهمها

عجيب أن يتكلم الرجل عن الـكرامة ولـكن كرامته هى الأخرى شاذة من نوع آخر ... فهو قد يسألك القرش على غير معرفة ولـكنه مع هذا ذو كرامة — وهو يفرط فى الخمر على حساب غيره ثم يخرج إلى الطريق العـام عربيداً ... ولـكنه ذو كرامة ... وهو ينتقى أقذر الملابس ويضعها على نفسه كما توضع البردعة ... وما يزال ذا كرامة .

إن الرجل ليس فقيراً ، فهو يعمل ويحصل على أموال كثيرة ولـكنه يضيعها لا لشىء إلا ليستجدى ، ولعله يستجدى وهى فى جيبه لمجرد الشموذة والمحافظة على كرامته الفريدة .

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٨٨٨ — إنهما مما أهل به لغير الله

الموافقات للشاطبي : نهى عن (معاقرة الأعراب) وهي أن يتبارى الرجلان فيعقر كل واحد منهما ، يجاود به صاحبه ، فأكثرهما عقراً أجودهما ، نهى عن أكله لأنه مما أهل لغير الله به قال الخطابي : وفي معناه ما جرت به عادة الناس من ذبح الحيوان بحضرة الملوك والرؤساء عند قدومهم البلدان وأوان حوادث تتجدد لهم وفي نحو ذلك من الأمور .

وخرّج أبو داود : (نهى عليه الصلاة والسلام عن طعام المتبارين أن يؤكل) وهما المتعارضان ليُرى أيهما يغلب صاحبه . وهذا وما كان نحوه إنما شرع على جهة أن يذبح على المشروع بقصد مجرد الأكل ، فإذا زيد عليه هذا القصد كان تشريكا في المشروع ، ولحظا لغير أمر الله تعالى ، وعلى هذا وقعت الفتيا من ابن عتاب بنهيه عن أكل اللحوم في النيروز وقوله فيها : إنها مما أهل به لغير الله .

٨٨٩ — بحث لغوي في شج وشجي

الاقتضاب في شرح أدب الكتاب للبطليوسي .

قد أكثر اللغويون من إنكار التشديد في هذه اللفظة (الشجي) وذلك عجب منهم ، لأنه لا خلاف بينهم أنه يقال : شجوت الرجل أشجوه إذا أحزنته ، وشجي يشجى شجاً إذا حزن ، فإذا قيل : شج بالتخفيف كان اسم فاعل من شجي يشجى فهو شج كقولك عمى يعمى فهو عم ، وإذا قيل : شجي بالتشديد كان اسم المفعول من شجوته أشجوه فهو مشجو وشجي كقولك مقتول وقتيل ومجروح وجريح . وقد روى أن ابن قتيبة قال لأبي تمام الطائي : يا أبا تمام ، أخطأت في قولك :

ألا ويل الشجي من الخليّ وبالي الربع من إحدى بليّ

فقال له أبو تمام : ولم قلت ذلك ؟

قال : لأن يعقوب(١) قال : شج بالتخفيف ولا يشدد .

فقال له أبو تمام : من أفصح عندك ؟ ابن الُجرمقانية(٢) يعقوب أم أبو الأسود الدؤلي حيث يقول :

ويل الشجي من الخلي فإنه نصب الفؤاد لشجوه مغموم

والذي قاله أبو تمام صحيح ، وقد طابق فيه السماع القياس ، وقد قال أبو دؤاد الإيادي ، وناهيك به حجة :

من لعين بدمعها موليه ولنفس مما عناها شجيه(٣)

(١) ابن السكيت .

(٢) التاج : الجرامقة قوم من العجم صاروا بالموصل كما في الصحاح ، زاد غيره : في أوائل الاسلام ، وقال الليث جرامقة الشام أنباطها ، الواحد منهم جرمقاني وهذا كالاسم الخاص ، ومنه قول الاصمعي في السكيت : هو جرمقاني ، ويقال أيضاً في الواحد منهم الجرمقي ، وهكذا نسب أبو العباس أحمد بن اسحاق الكاتب الشاعر .

(٣) أصل الولي — كما في الأساس — المطر الذي يلي الوسمي ، وقد وليت الأرض وهي مولية .

قرأ ذلك الشاعر في بدء حياته بعض تراجم لشعراء غربيين قدامى — فرأى ما يفعله بودلير وسمع ما قيل عن بايرون ، فظن أن الفن عربدة كعربدتهم وتحلل كتحللهم ، وظن أن هذه العربدة وذلك التحلل هما الطريق السوى الممهد إلى الخلود ... نسى الرجل أن هؤلاء كانوا أصحاب أفكار سامية وعاطفة ملتهبة نابضة وعلم مكتمل ناضج وأنهم نجحوا برغم سلوكهم لا بسبب سلوكهم .

إن من هؤلاء الشعراء الشموذين من إذا انصرف عن شموذته إلى فنه لكان نتاجه حقيقاً بالاحترام فكثير منهم ذو ملكة مهيأة للفن تهيئة يفتقدها الكثير ... ولكنه أخطأ الطريق أو لعله رأى وعورتها ... فانثنى عنها إلى طريق أخرى أكثر وعورة على الكرامة الحقة ولكنها سهلة معبدة للكرامة المشعوذة .

ثروت أباظة

٨٩٠ — خذ بيدي فهكذا تزول النعم

تاريخ بغداد للخطيب : أبو محمد عبد الله المعروف بابن الأكفاني قال سمعت أبي يقول : حججت في بعض السنين وحج في تلك السنة أبو القاسم عبد الله بن محمد وأبو بكر محمد بن جعفر الأدمي[1] القارئ صاحب الألحان ، كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن وأجهرهم بالقراءة . فلما صرنا بمدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم) جاءني أبو القاسم فقال لي : ههنا رجل ضرير قد جمع حلقة في مسجد رسول الله وقعد يقص ويروي الكذب من الأحاديث الموضوعة والأخبار المفتعلة فإن رأيت أن تمضي بنا إليه لننكر عليه ذلك ونمنعه منه ، فقلت له : يا أبا القاسم ، إن كلامنا لا يؤثر مع هذا الجمع الكثير والخلق العظيم ، ولسنا ببغداد فيعرف لنا موضعنا ، وننزل منازلنا ، ولكن ههنا أمر آخر وهو الصواب وأقبلت على أبي بكر الأدمي فقلت له : استعد واقرأ ، فما هو إلا أن ابتدأ بالقراءة حتى انفلت الحلقة ، وانفصل الناس جميعاً ، وأحاطوا بنا يسمعون قراءة أبي بكر ، وتركوا الضرير وحده ، فسمعته يقول لقائده : خذ بيدي فهكذا تزول النعم ! !

٨٩١ — كلنا صيادون ولكن الشباك تختلف

النجوم الزاهرة : قال القاضي التنوخي : جاء رجل من الصوفية إلى بجكم[2] ، فوعظه بالعربية والفارسية حتى أبكاه ، فلما خرج قال بجكم لرجل : احمل معك ألف درهم وادفعها إليه ، فأخذها الرجل ولحقه ، وأقبل بجكم يقول . ما أظنه يقبلها ، فلما عاد الغلام ويده فارغة قال بجكم : أخذها ؟

قال : نعم .

فقال بجكم بالفارسية : كلنا صيادون ولكن الشباك تختلف ...

(١) في (اللباب في تهذيب الأنساب) الأدمي — هذه النسبة لمن يبيع الأدم .

(٢) النجوم الزاهرة : بجكم التركي الامير أبو الخير ، كان أمير الامراء قبل بني بويه ، وكان عاقلا يفهم العربية ولا يتكلم بها بل يتكلم بترجمان ويقول : أخاف أن أتكلم فأخطئ ، والخطأ من الرئيس قبيح .

٨٩٢ — سيرة أردشير

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور الثعالبي :
سيرة أردشير — من حسن سيرته أن له كتاباً في حسن السيرة يضرب المثل به ، وتقتبس الملوك من نوادره ، فمن نكته قوله :

إذا رغب الملك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة .

لا صلاح للخاصة مع فساد العامة ، ولا نظام للدهماء مع دولة الغوغاء .

أوحش الأشياء عند الملوك رأس صار ذنباً وذنب صار رأساً .

لا سلطان إلا برجال ، ولا رجال إلا بمال ، ولا مال إلا بعمارة ، ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة .

ومن كلامه : القتل أنفى للقتل . وأجل منه في معناه قول الله تعالى : ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب .

٨٩٣ — جعلك من عجائب البحر

أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي : قال أبو الحسن السلامي الشاعر : مدح الخالديان سيف الدولة بن حمدان بقصيدة أولها :

تصد ودارها صدد ... وتوعده ولا تعد
وقد قتلته ظالمة ... فلا عقل ولا قود

وقال فيها في مدحه :

فوجه كله قمر ... وسائر جسمه أسد

فأعجب بها سيف الدولة ، واستحسن هذا البيت ، وجعل يردده ، فدخل عليه الشيظمي الشاعر فقال له : اسمع هذا البيت وأنشده ، فقال الشيظمي : احمد ربك فقد جعلك من عجائب البحر

٨٩٤ — راحة الجسم والنفس والقلب واللسان

عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة :
من كلام ثابت بن قرة : راحة الجسم في قلة الطعام ، وراحة النفس في قلة الآثام ، وراحة القلب في قلة الاهتمام ، وراحة اللسان في قلة الكلام[1] ...

(١) ومن أقواله : ليس على الشيخ أضر من أن يكون له طباخ حاذق وجارية حسناء لأنه يستكثر من الطعام فيسقم ، ومن الجماع فيهرم .

توقيـــع

[طلبت صغرى كريمتى الشاعر الكبير عزيز أباظه باشا إلى أبيها أن يسجل عيد ميلادها فى كراسة توقيعاتها فكانت هذه الأبيات :

وهبتك قلبـــاً مع شقيقيك عامراً ... بأغلى الذى عندى من الحب والعطف

وأسكنتكم أحنـاءه منزلا لكم ... فلو قد صددتم عنه أسكنتكم طرفى

وأصفيتكم من جنة النفس رحمة ... ويسعد نفسى أنها لم تزل تصفى

وأبدى حنو الوالدين ... وأتقى ... فأخفى ... فينهلُ الحنو الذى أخفى

إذا ما بذلتم لى جزاء يفى ءلى ... بقية أيامى .. فمن ساكب العرف

وإن كانت الآباء كهف فروعهم ... فـكهفكمو حبى وحبكمو كهفى

عزيز أباظة

في مهرجان جامعة أدباء العروبة في الزقازيق :

حنين إلي الموطن الأول

للاستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

تسليم مشتاق ، ولهفة زائر ... يامهد أحلامى ، ونبع خواطرى

ومجال فجرى وهو يومىء للضحى ... أن تستفيض على الصباح الباكر

ومنارة الأفق الذى لمـا يزل ... يهفو له قلبى ، ويرنو ناظرى

ومثار أشواقى الوليدة ، والهوى ... فى عشه يحبـــو بخطو عاثر

متفزعا من كل سار صادح ... ومبلبلا من كل طيف عابر

إنى ذكرت على «مويس» جراحه ... وغنيت عن دمعى بلوعة ذاكر(١)

رف الشباب على رباه مثلما ... رف المتوف على الغدير الزاخر

هذى الضفاف الناعسات ملاعبى ... يا طالما يقظت لقلبى الساهر

نديت منها أدمعى وسكبتها ... آلام مهجور ، وجفوة هاجر

وقرأت فوق ظلالها أسطورتى ... وأبحتها أن تستشف سرائرى

(١) مويس : بحر عظيم من بحار الطبيعة فى عاصمة الشرقية .

ونثرت آهاتى على آهاتهـــا ... فى النسمة الحيرى ، ونوح الطائر

يا سامرى بين الخمائل هاهنا ... جئنا نجدد عهدها ، يا سامرى

أوفى عليك الركب ، نفحة مبدع ... ونشيد فنـان ، وهتفة شاعر

حفوا بركب وزيرهم فى نشوة ... كالطـير حفت بالخميل الناضر

من لى بركب العبقريين الألى ... صدحوا على لجب الزمان الهادر

وشدوا ملاحم مجدهم وتسابقوا ... فى صيحة الداعى ، وعزم القادر

حسب الوزير الألمعى وحسبهم ... إحيـاء مجـــد للعروبة غابر

مجـد أظل الشمس تحت لوائه ... ومشى على هام الزمان الجائر

عزت به الفصحى ، فأطلع صبحها ... والدهر يضرب فى ظلام حائر

لله من رجل ينشر مجدها ... فى مجده سلمت يمين الناشر

ليشيع فى الدنيا الجمال ، ويحتفى ... بالخير فى هدى البيان الساحر

تلك الأيادى يا دسوقى صنعتها ... وورثتها من كابر عن كابر

أنا بعضها ، فهواى شبت على ... بيت هنالك فى غزالة عامر(١)

لا كرمة فى روضـة ساقيتها ... نجوى صلاتى فى لحون مزاهرى

وعصرتها خمراً ودرت بها على ... ندمان روضك بين أنس غامر

أسقى وأسقى من سلاف شعشعت ... بكريم أمجاد ، ونبـل عناصر

يا سيدى أسر العروبة جهدكم ... فى بعثها ، لا زال فضل الآسر

من يبعث الشعراء يبعث قومه ... للمجد فى وضح النهار السافر

فإذا سئلت عن الذى نحيا له ... فى الشرق والنيل العزيز القاهر

فقل البيان . أعيش أرعى أهله ... فى الخافقين . وتلك تلك مفاخرى

فى ظل فاروق سنرفع ذكره ... ليـدور فى فلك الزمان الدائر

رجعة إلى مويس (*)

للاستاذ طاهر محمد أبو فاشا

وصـل اركب يا نديم فهات ... هـــذه رملتى ، وتلك رباتى

الرياض اللفاء ، والرفرف الخضـ ... ـر ، ومغنى الصبا ، وملعى اللدات

ومغانى عمـاتك النخل فرعا ... ء صموتا كـعهدها قانتات

(١) بلد صاحب القصيدة وبلد معالى الوزير .

(*) بحر من روافد الرياح التوفيقي يمر بالزقازيق .

والطريق الفينان فى جانب النهـ ... ـر عروس الأصيل، حلم الغداة
«وموريس» السكران راوية الحـ ... ـب، وساقى لحونه الثملات
معبد الراهب الخليع بساط ... للندامى، وموعد للغواة
العجوز الزنديق خمارة الشعـ ... ـر، وعُزّى ندمانها، واللات
خطر الفن حوله فجثا يسـ ... ـتنفر الحسن، والعيون اللواتى
وعلى صدره ينام حنين ... وعلى شطه عرام سقاة
أنا أيضاً من السقاة ولى فى ... ذلك الشط قصتى ورواتى
فوق هذا الثرى سكبت من العمـ ... ـر سنيناً عصرتها من حياتى
وعلى هذه الرمال تناولـ ... ـت حديث الأساة، والسلاة
والزمان الطمور تحت رباها ... بعض ذاتى، وفيه بعض صفاتى
فاعذرونى إذا لويت عن الركـ ... ـب فإنى أسير فى ذكرياتى

***

يا سقى الله بالزقازيق أحلا ... م صباى النواضر العطرات
وسنيناً كأنها طرفة العيـ ... ـن خفافاً مررن كاللحظات
يسترقن الخطى إلى شاطىء النسـ ... ـيان فى موكب رهيب الصمات
من ترى أيقظ الخواطر حولى ... وأثار الطوى من صفحاتى
وأعاد الأيام ... والمعهد السا ... مق مسروج بالنجوم الهداة
المدول الأعلام أمثلة الزهـ ... ـد، وشيخانه الفحول الثقات
ورفيق كأنه هامش الشر ... ح إذا صات يمضغ القافات ...!
حنبلى كأنه الجمل الأو ... رق صخابة كثير اللثات .. !
السراج المليل يشهق فى محـ ... ـرابه، والبلى يروح، ويأتى . !
ونضيج مفلفل لاذع الطعـ ... ـمة يشوى أصابعى، ولهاتى
يتصبى المجاورين فننصـ ... ـب عليه كالفاتحين الغزاة
اترك المتن، واطو حاشية السعـ ... ـد، وأدرك شيخون قبل الفوات
أنا من مازن، ومازن منى ... والليالى القمراء من صدحاتى

***

أيهذا النديم ويحك أوفيـ ... ـت قل بى على «موريس» وهات
أنا فى شطه أراجع فى سفـ ... ـر وجودى أيامى الخاليات
أنا فى شطه أراقب فعل الد ... هر فى أهله وأرقب ذاتى
أنا فى شطه أقاوم إغـرا ... ء خيالى بهذه الذكريات
أوقظ الماضى البعيد وأخشى ... أن تغيم الأشباح فى خلجاتى
وأنا الشاعر الذى زمزم الكا ... س فرنت بهذه الرقصات
ليت من عقنى والحد بالشعـ ... ـر يرد الأخيذ من خطراتى

جنـــة الحب ...!

للأستـــاذ أحمد مخيمر

خذى قناعك لا تلقيه إغراء ... يا لمحة أشرقت من طور سيناء
هذى المحاسن لم يجمعن فى جسد ... فحسبك اليوم للعشاق إغواء
كنا ألبّاء والأيام هادئة ... حتى طلعت، فلم نصبح ألبّاء
جنّ الحنين جنوناً فى أضالعنا ... وأوسعتنا ليالى الشوق إظماء
وأيقظت ما طوته من رغائبنا ... يد الزمان فما يملكن إغفاء
ينظرن من شرفات الروح فى لهف ... يبغين من لمحات الحسن إدناء .

يا روضة من رياض الحب زاهرة ... طابت ظلالا، وأنساما، وأنداء
كسوت جسمك من فرع إلى قدم ... غلالة من رفيف الظل ملساء
ولم يزل نبعك الرقراق مندفقاً ... لم يأل من ورده الدهر إرواء
أظل أسمع موسيقى الحياة به ... تطوف بالروح أنغاماً وأصداء
حسبت كل رنين حيث تبعثه ... طيفاً من العالم العلوىّ وضاء
يبث ما شاء من رى ومن ظمأ ... ويرسم العيش بأساء ونعماء

يا جنة الحب، لولا ما سقيت به ... من الدموع لما أصبحت غنّاء
ليس الذى فى الغصون الخضر من ثمر ... إلا قلوباً صـديّات وأحناء
أزهارك النضر رفت فوقها ذكراً ... وجسمتها يد الأقدار أهواء
وما العبير سوى الأشواق ضائعة ... لا تستطيع لها الأدواح إخفاء
ما بال بابك لم يفتح لحارسه ... وما لأغصانك اللفاء خرساء
أتاك طائرها الصداح، تدفعه ... أشواقه .. فامنحيه الحب والماء
نسيته فتناسى وهو مدّكر ... وكان — لولا قديم الود — نسّاء

يا جنة الحب لا سخط لديك ولا ... عتب عليك، ولم نبرح أحباء
غنت طيورك فى الفيوم فاستمعى ... ما يعجز القوم إفصاحاً وإلقاء
إذا شدونا إلى الدنيا بقافية ... مالت إلى جرسها الأجيال إصغاء
وأوقفت خطوها الأيام، التفتت ... حتى ترى عزة للشعر قعساء
من خمرة الحب نسقيه، ونعصره ... من كرمة الخلد للصادين صهباء

الأدب والفن في أسبوع

روائع الفن العالمي :

يقول « جيبو » فى كتابه « علم الجمال » : لا يخلد من إليادة هوميروس إلا صلاة عجوز وابتسامة وداع بين زوجين …

ويقول « رومان رولان » : لا شىء يؤثر على النفس تأثير تحفة فنية صاغتها يد فنان وكونها حذقه وتفكيره ، فإذا سمع المرء إيقاع « بتهوفن » الموسيقى أو تأمل لوحة من لوحات « رامبرانت » نسى ذاته وذابت أنانيته وشاهد الطيبة تتدفق من تلك القلوب الكبيرة ولمع فى ناظريه شعاع ذكائهم …

ذكرت هذا الكلام وأحسسته فى نفسى وأنا أنقل النظر والفكر من لوحة إلى لوحة فى المعرض الدولى للفن الحديث الذى أقيم بالسراى الكبرى بالجزيرة وتفضل جلالة الملك بافتتاحه يوم الأحد الماضى وشاهده كثير من رجالات الدولة وكبرائها ، ومحبى الفنون وهواتها .

وقفت أول ما وقفت فى القسم المصرى بالمعرض فاستغرقنى التأمل فى كثير من اللوحات الخالدة ، أعجبنى « الفرسان الثلاثة » لمحمد حسن بك و « بنات البحر » للأستاذ محمد سعيد و « الذكر » لمحمود سعيد بك ، وهكذا أخذت أتأمل جميع المعروضات المختلفة فى هذا القسم للمرحوم المثال مختار والمرحوم سحاب ألماظ والأساتذة جابر وأحمد عثمان وسعيد الصدر والسيدة إيمى نمر ، ولكنى أعجبت إعجاباً خاصاً بذلك الاتجاه الشعبى الذى اتجه إليه الأستاذ محمد مصطفى عزت فى لوحته « قهوة بلدى فى خان الخليلى » ، وفى صورته الرائعة « نهر النيل » ، وقد بلغنى أن هذه الصورة الرائعة حظيت بالرضا السامى من جلالة الملك فأثنى على صاحبها ولا عجب أن تتجه عواطف ملك النيل وراعيه إلى « النيل » .

وانتقلت بعد ذلك إلى القسم الفرنسى فشاهدت ما ضم من أعمال فنية رائعة فى الرسم والنحت ، وقطع نادرة من السجاد والتحف والنقوش وكلها تنطق بالشعر والجمال .

وفى القسم البريطانى شاهدت مجموعة من المطبوعات الملونة يرجع تاريخها إلى القرن التاسع عشر ، وأربعين لوحة تصور عدة مناظر مختلفة وأكثرها مناظر علمية واقعية وهى الروح التى تسيطر على الفن الانجليزى .

أما فى القسم الروسى فقد استوقف نظرى صور البطولة « ثلاثة أبطال من التاريخ » و « أغنية البطولة » و « سباق » ، أليست هذه الصور صورة تمثل روسيا فى بطولتها وفى سباقها أصدق تمثيل …

وكان آخر المطاف بالقسم الأمريكى ، وفى هذا القسم عرضت المجموعة التاريخية الفنية لجمعية الفنون الدولية وهى تشتمل على ستين صورة أمريكية يرجع تاريخها إلى القرنين التاسع عشر والعشرين . وكلها من أروع ما أخرج الفنانون الأمريكيون

قال صاحبى بعد أن انتهينا من مطافنا : أنظر . إن الفن بقوته وروعته يعلو على جميع الأطماع الإنسانية ويحطم جميع الفوارق ، ألا ترانا هنا نوزع إعجابنا على المصرى والانجليزى والفرنسى والروسى والأمريكى من غير تفريق ولا تحيز ، ولكننا لا نحتمل هذا ولا نستسيغه فى المجال السياسى والزحام الدولى .

فى معرض الآثار العربية :

وأقامت دار الآثار العربية معرضاً افتتحه معالى وزير المعارف فى الأسبوع المنصرم وحضره كثيرون من هواة الآثار الفنية والمعنيين بالدراسات التاريخية والأثرية والأدبية ، وقد عرضت الدار فى هذا المعرض أكثر من مائة وخمسين قطعة لا يعرف تاريخها بالضبط ولهذا سمتها الدار بالآثار غير المعروفة وإن كان من المرجح أن أقدمها لا يسبق فى وجوده القرن التاسع الميلادى كما أن أحدثها لا يتجاوز القرن الخامس عشر .

وتشتمل هذه المعروضات على حلى من الذهب الخالص وقطع من القاشانى الفارسى الجميل والخزف المزوق ونسائج من الصوف البديع وغير ذلك من الزجاج المضىء والصور التى تؤرخ عصرها بما تحمل من طابع الذوق والفن . ومن أروع ما شاهدت مجموعة أثرية نادرة من مختلف القطع كان المغفور له على إبراهيم باشا قد أوصى بعرضها قبل وفاته بأيام

ولقد شاهدت هذا المعرض ، وقضيت ساعة كاملة أتفحص ما فيه من القطع الأثرية الغالية النادرة ثم خرجت وكأنى قد استوعبت كتاباً ممتعاً فى تاريخ الحضارة الاسلامية ، بل لقد

تمثل لى فيما شاهدت متعة فنية وفائدة عقلية مما لا يمكن أن يتمثل فى قراءة أى كتاب ، ذلك لأن الآثار تحمل طابع الذوق وطابع العقل .

على أن مما يؤسف له أن هذا المعرض وأمثاله لا يستلفت فى مصر إلا أنظار الهواة لهذا الفن ، أعنى عشاق الآثار والتحف القديمة ، مع أنه معرض ثقافى يجب أن يهتم به طلاب الثقافة من كل لون ، وهذا يرجع إلى ضعف الاهتمام بهذه الناحية فى مدارسنا وفى دراساتنا ، بل إن وزارة المعارف نفسها لا تزال تنظر إلى هذه الناحية على أنها من مظاهر الكمال كما يقولون فلا تبذل لها من العناية والاهتمام ما يجب ، أليس من المؤلم أن تضيق دار الآثار العربية منذ سنوات بمحتوياتها ، وترتفع بذلك الشكوى إثر الشكوى ولكن لا سميع ولا مجيب ، وكأن الأمر لا يعنى وزارة المعارف فى كثير ولا قليل ... حقاً إنها حال تدعو إلى الأسف ...

ذكرى الأستاذ الأكبر مصطفى عبد الرازق :

تألفت لجنة برياسة الأستاذ الكبير أحمد لطفى السيد باشا لتخليد ذكرى المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وقد أهابت هذه اللجنة بأصدقاء الفقيد وتلامذته ومريديه والمخلصين للدراسة والبحث العلمى أن يسهموا فى مساعدة اللجنة على إنشاء جائزة باسم الفقيد الكريم لتشجيع الدراسات الإسلامية فى مصر .

وإنها لفكرة طيبة ، نرجو أن لا تكون نخوة يثيرها الحزن على فقد ذلك الإمام ثم تخبو شأن فكرات لها مماثلة ، كما نرجو أن تنهض هذه اللجنة بما يجب نحو ذكرى الفقيد من جمع آثاره ونشرها وإذاعتها إلى جانب ما تهم له بإنشاء تلك الجائزة العلمية ، ونحن نعرف أن الشيخ مصطفى عبد الرازق قد انفق حياته الحافلة للصالح العام ، فخدم الأزهر ، وخدم الجامعة ، وخدم الوزارة ، وخدم فى ميدان الثقافة العامة ، كما خدم فى هيئة سياسية لها مكانتها ، فهل لهذه الجهات أن تجتمع كلها ظهرة واحدة على تخليد ذكراه وإحياء تراثه وإذاعته ؟ إنها لو فعلت ستؤدى شيئاً له قيمته وخطرة ، وستنهض بالواجب على أتم ما يكون الواجب ، ولكن هيهات ، فإن شعورنا نحو من نفقد من رجالنا يتضاءل بمرور الأيام ، ورحم الله شوقى إذ يقول :

يزار كثيراً ، فدون الكثير فغباً ، فينسى ، كأن لم يزر

شعور كريم :

نهض جماعة من تلامذة الأب الكرملى ومريديه الذين انتفعوا بعلمه واغترفوا من بحره لتخليد ذكرى أستاذهم وشيخهم فرأوا أن خير سبيل فى ذلك هو إحياء تراثه ونشر كل ما يعرفون من آثاره ، وخاصة ما ترك من مؤلفات لم تطبع ، وما كتب من مقالات لم تظهر ، على أن يضيفوا إلى هذا كل ما كتبه الكاتبون عن ذلك الباحث العظيم الذى خسرته اللغة العربية وخسره العلم والأدب .

ويقولون إن من هذه الآثار التى تعدها الجماعة للنشر « رسائل » تبودلت بين المغفور له أحمد تيمور باشا والأب الكرملى ، وهى رسائل تدور على مناقشات وتحقيقات فى اللغة والأدب والتاريخ ويقوم بطبع هذه الرسائل والتعليق عليها الأستاذان كوركيس عواد وميخائيل عواد وهما من تلامذة الفقيد وخاصته .

وإلى جانب هذا تهتم لجنة التأليف والترجمة والنشر فى وزارة المعارف العراقية بإخراج مؤلفات الفقيد وطبعها طبعاً محققاً مصححاً حتى يعم النفع بها من جهة ، ويكون إخراجها براً بذكرى الكرملى من جهة أخرى .

وهذا شعور كريم ، وعمل خير وبر ، خير حيث يتيسر الانتفاع بتلك الآثار الجليلة ، وبر لأنه دلالة وفاء لذكرى رجل وقف حياته على خدمة العلم ، وياحبذا لو نهجنا هذا النهج فى إحياء ذكرى أدبائنا وعلمائنا بأن نحرص على آثارهم من الضياع ، ونضن بمخلفاتهم أن تباع ، وأن نقوم بطبع كل ما تركوه من مؤلفات ، وإذاعة ما أبدوا من آراء وتحقيقات ، فإن هذا كله أجدى وأنفع من تلك الحفلات التقليدية التى نقيمها ، وتلك الخطب « التأبينية » التى نتفضل عليهم بها ، وهى خطب لا نفع بها للأحياء ولا بر فيها بالأموات .

ذكرى اليازجى :

احتفلت لبنان فى الأسبوع الماضى بذكرى مرور مائة عام على مولد الشيخ ابراهيم اليازجى ، وأذاعت محطة الإذاعة هناك بهذه المناسبة برنامجاً حافلا اشترك فيه كبار الأدباء والشعراء

وفى طليعتهم الشاعر الكبير شبلى ملاط بك إذ ألقى قصيدة عامرة صور فيها عصر اليازجى وحظه فى عصره أقوى تصوير وأروعه .

وإن مما يؤسف له أن تمر هذه الذكرى فلا يشعر بها أديب أو شاعر فى مصر، ولا تهتم الإذاعة المصرية عندنا بأن تصنع فيها شيئا مما صنعته زميلتها فى لبنان ، مع أن ذكرى اليازجى دين فى عنقنا ، وواجب يفرضه عرفان الجميل علينا .

حقاً ، إن اليازجى قد نبت فى لبنان ، فكانت موطن مولده ونشأته ، ولكنه جاء إلى مصر أديباً كبيراً وعالماً نحريراً فنفح مصر من أدبه وعلمه كل خير وبركة ، إذ أصدر بها مجلة «البيان» ثم مجلة « الضياء » ، وعنى عناية خاصة بتصحيح أساليب الأدباء وتقويمها والتنبيه على الأخطاء الشائعة فى لغة الصحفيين ، وجمع هذا كله فى كتاب سماه : « لغة الجرائد » ، وكان الكاتب أو الشاعر فى مصر لا يأخذ حظه من التقدير والاعتبار إلا إذا فاز بشهادة من اليازجى تزكيه فى قومه ، وقد ظل الرجل فى مصر يفيد بعلمه وأدبه ويجاهد فى خطته حتى أعياه الجهد ومات بداء السرطان فى ضاحية الزيتون .

هذا هو اليازجى ، عاش لمصر بعلمه وأدبه ، فكان الواجب علينا أن نكون سباقين للقيام بالواجب نحو ذكراه ...

جامعة القلم :

طالعت فى الصحف أخيراً أن جماعة من الأدباء ورجال اللغة الذين خبروا تصحيح الكتب وتقويم الأساليب وشئون الطباعة قد تألفوا فيما بينهم وأسموا رابطتهم « جماعة القلم » واتخذوا لهم مكاناً وجعلوا من غايتهم مساعدة المؤلفين والناشرين والطابعين على إخراج المؤلفات مصححة مضبوطة محققة بما يضمن خلوها من أخطاء الصناعة وأخطاء الطباعة .

وقد أذاعت هذه الجماعة أو الجامعة كما تقول : أن الذى دفعها إلى هذه الغاية ما لمسته من كثرة الأغاليط والأخطاء فى المؤلفات والمحاضرات والأغانى والأفلام والمقالات والرسائل التى تخدش اللغة وتحرف الكلم عن مواضعه وتضلل القراء وتهوى بقيمة المؤلفات وتسىء إلى سمعة مصر زعيمة الشرق ، فرأت أن تنهض لتلافى هذا كله حتى تخرج المؤلفات خالية من الزلات بريئة من العثرات

ومهما يكن من شىء فإنها غاية حميدة ومهمة تقع موقعها من الحاجة ، فإن المطبوعات الكثيرة التى تقذف بها المطابع فى هذه الأيام تخرج مشحونة بالأخطاء والشناعات ، وبما يضحك ويبكى من فنون الأغاليط ، وذلك يرجع إما لعجز المؤلفين أو قصور الناشرين أو عجلة الطابعين ، وشيوع الأخطاء فى المؤلفات من أخطر الأخطار على الثقافة العامة لأنه يؤدى إلى شيوع اللحن واختلال اللغة فى الألسن وضعف ملكتها فى الأذهان ، ولكن ما جدوى هذا وقد أصبحنا فى عصر يتظارف أبناؤه باللحن فى اللغة ، ويرون الحرص على صحيح التركيب وصواب اللفظ من دلائل الجمود والتأخر .

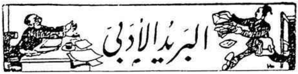
إننا نطالب بشىء أجدى من هذا ، إننا نطالب وزارة المعارف بأنشاء رقابة لا تسمح بأخراج الكتب والمؤلفات إلا إذا استوفت شرائطها من سلامة الأسلوب وصواب الأداء وحينئذ يضطر المؤلفون والكاتبون إلى تحرى الصواب فيما يكتبون .

الأستاذ ليفى بروفنسال :

قدم إلى مصر منذ أسبوع إجابة لدعوة جامعة فاروق الأول بالإسكندرية المستشرق الفرنسى المعروف الأستاذ ليفى بروفنسال لإلقاء سلسلة من المحاضرات الأدبية باللغة الفرنسية ، وقد تقرر أن يلقى أربع محاضرات ، ألقى الأولى منها فعلا مساء يوم الخميس الماضى بقاعة المحاضرات بكلية الطب فى جامعة فاروق الأول وكان موضوعها « الشعر العربى الكلاسيكى فى إسبانيا » ، ويلقى الثانية مساء الإثنين « اليوم » وموضوعها « الشعر العربى الشعبى فى إسبانيا » ، والثالثة فى مساء الخميس القادم وموضوعها « العلاقة بين الشعر العربى الأندلسى والشعر الأوربى الوسيط » ، أما الرابعة فسيتحدث فيها الأستاذ المحاضر عن « غرناطة الإسلامية وقصر الحمراء » وسيكون الموعد بإلقائها مساء السبت من الأسبوع القادم .

والأستاذ بروفنسال بقية من المستشرقين المخضرمين ، وهو أحد الأعلام الذين أسهموا فى إخراج وتحرير دائرة المعارف الأسلامية وله كثير من الدراسات الأدبية والتحقيقات التاريخية النافعة ، وكل ما نرجو أن تعنى كلية الآداب فى جامعة فاروق بتدوين تلك المحاضرات ونقلها إلى اللغة العربية حتى تكون مرجعاً يرجع إليه وينتفع به .

« الجاحظ »



تكريم الأستاذ خليل مطران :

تنبيهاً للأذهان ، لا تقريراً لما يجب أن يكتب في هذا الحادث الأدبي المظيم ، نقول إن طائفة من أثرياء السوريين واللبنانيين من محبي أدب شاعرهم الخالد الأستاذ خليل مطران اجتمعت فجمعت سبعة آلاف جنيه لطبع دواوين شعره وسائر مؤلفاته الأدبية ، وقد اختارت منها لجنة مؤلفة من عشرين عضواً قررت ما يلي :

١ — طبع دواوين مطران السبعة منها « ديوان الخليل » الأول وقد طبع من زمن بعيد ، وديوان للأراجيز في الأخلاق والآداب .

كذلك قررت طبع الروايات الأربع المترجمة عن شكسبير وهي هملت ، ومكبث ، وعطيل ، وتاجر البندقية . والروايات الثلاث المنقولة عن كورناى وهي ، السيد ، وسنّا ، وبوليوكيت وأيضاً طبع رواية « بريتيس » المترجمة عن راسين « وهرناني » عن فكتور هيجو ، « والغريب » عن بول بورجيه ورواية « القضاء والقدر » وقد عارض فيها الشاعر مطران رواية « قسمت » الإنجليزية التي رمى مؤلفها العرب بما هم براء منه ، فأعاد الشاعر مطران بروايته « القضاء والقدر » الحق إلى نصابه ووصف العرب على حقيقتهم في أخلاقهم المعروفة، وآدابهم المأثورة

وللشاعر المحتفل به مؤلفات أخرى هي « الموجز في علم الاقتصاد » من خمسة أجزاء اشترك معه في ترجمتها المرحوم حافظ ابراهيم . وكتاب «مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام» وكتاب « الإرادة » وهو مجموعة فصول في أدب النفس . وهذه الكتب لم تصدر اللجنة رأياً في إعادة طبعها بعد .

٢ — قررت إقامة حفلة بدار الأوبرا الملكية تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك بجعلها تحت رعايته ، وقبل رئاستها حضرة صاحب المعالي وزير المعارف وستقام في الساعة الخامسة بعد ظهر يوم السبت ٢٩ مارس ويخطب فيها معالي السنهوري باشا وصاحبا السعادة علوبة باشا وأنطون الجميل باشا وحضرة الشيخ المحترم عباس محمود العقاد وسينشد الأستاذ الأسمر قصيدة من شعره

٣ — تقيم لجنة الاحتفال مساء الأحد ٣٠ مارس حفلة عشاء بفندق شبرد تدعو إليها المائة والسبعة والخمسين وجيهاً الذين تبرعوا بالسبعة آلاف جنيه لهذا الغرض ولفيفاً من أرباب العلم والأدب والوجاهة من أصدقاء المحتفل به يكون خطباؤها سعادة الدكتور محمد حسين هيكل باشا والأستاذ فؤاد صروف والشاعر محمد عبد الغني حسن .

٤ — تلبية دعوة معالي وزير المعارف إلى نزهة نيلية تستقر في القناطر الخيرية نهار الاثنين ٣١ مارس .

٥ — تلبية دعوة الأستاذ إدجار جلاد بك إلى حفلة غداء يقيمها في فندق شبرد لرجال السلك السياسي وأصحاب الصحف الأجنبية يوم أول أبريل .

٦ — حفلة يقيمها النادي الشرقي بالاشتراك مع الأندية السورية واللبنانية الأخرى وهي نادي الشبيبة ، ونادي لبنان ، ونادي الاتحاد الأرثوذكسي يوم الأربعاء ٢ أبريل .

٧ — حفلة أخيرة تقيمها المفوضية اللبنانية يوم الخميس ٣ أبريل

٨ — ولا تزال اللجنة تدعو كل من يريد الاشتراك في هذا العمل ولم يعرب عن هذه الرغبة بعد ، أن يتفضل بمخاطبة سكرتير اللجنة صموئيل بك عطية أو أمين الصندوق السيد إلياس مرشاق

ومما يجدر ذكره أن لجنة الاحتفال كانت قررت إصدار الجزء الأول والثاني من « ديوان الخليل » قبل إقامة الحفلة الأولى ولكن بعض الموانع الفنية حالت دون ذلك .

وأن محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية وكذلك محطة الإذاعة اللندنية للمستمع الغربي B. B. C. قد قبلتا مبدئياً إذاعة ملخص لما يقال في هذه الحفلات .

وأن السوريين واللبنانيين في مهاجرهم يشتركون أدبياً ومادياً في تكريم شاعر الأقطار العربية . كما أن الحكومة اللبنانية قد قررت الاشتراك في هذا الاحتفال وهو وفاء منها للشاعر الكبير

أما الأموال التي ستجمع لتكريم مطران ، والفوائد التي تجنى من بيع مؤلفاته فستنفق على الجناح الخاص الذي سوف يحمل اسم الشاعر خليل مطران في المستشفى الذي شرع في بنائه باسم دار الشفاء.

ليطل الله بقاء مطران ، لا ليقول للمحتفلين به ما قاله فولتير المظيم يوم احتفلت أمته به « إنكم تريدون القضاء على حياتي من فرط الغبطة والسرور » بل ليسمع على مدى العمر شكر كل ناطق بالعربية على ما أعطاهم من أدب وفن .

« حبيب »

حول اكتشاف واحة الكفرة :

جاء فى « الرسالة » الغراء عـدد ٧١٣ بتوقيع قارىء كلمة قصيرة رداً على ما نشرته أخبار اليوم بعدد ١٢٩ حول اكتشاف واحة الكفرة ، ونحن بدورنا أردنا أن نثبت شيئاً عن هذه الواحة على ضوء ما كتبه حضرة القارىء المحترم والشىء بالشىء يذكر:

كانت واحة الكفرة المجهولة عند العامة ردحاً من الزمن محلا يأويه الدعار واللصوص ومخبأ يلتجىء إليه العائثون الذين يشنون الغارة من مصر على السودان الفرنسى وبالعكس حيناً من الدهر ، ولم تكن هذه الواحة معروفة عند الليبيين وقتذاك وقد سكنها فى وقت من الأوقات (التبو) وهم قبيلة من القبائل السودانية وكانت هذه القبيلة غير متدينة بدين إلا بعد اتصالها بالسنوسى، ثم سكنها الكثير من العرب مثل قبائل (الجهمة) وقبائل (الجوازى) وأخيراً عمرت بأهلها الحاليين وهم قبائل (الزوية) وذلك سنة ١٦٧٥م على وجه التقريب . ومن ذلك التاريخ أصبحت معروفة عند عرب برقة ، وفى سنة ١٨٥٤ وصل إلى تلك الواحة السيد عمر الفضيل موفداً من قبل الإمام الجليل السيد محمد السنوسى الكبير لبناء زاوية (الجوف) وبذلك أصبحت محط رحال القوافل السائرة بين ليبيا والسودان الفرنسى، وفى سنة ١٨٧٤ اهتم خليفة السنوسى السيد محمد المهدى بهذه الواحة والطرق المؤدية إليها من الجهات الأربع فأرسل السيد محمد بن الشفيع (رئيس زاوية سرت) لحفر بئر (بشرى) الواقعة بين الكفرة والسودان الفرنسى . وفى سنة ١٨٩٦ تحول السيد المهدى من زاوية الجغبوب إلى الكفرة فنسق بها الجنان وعمّر ما خرب منها وكثرت بها المبانى وبنى بها معهداً لتحفيظ القرآن ودراسة علوم الشريعة وأمها السكان من جميع نواحى القطر الليبى، وفى نفس السنة زارها صادق بك (باشا) المؤيد العظم يحمل تحيات جلالة السلطان عبد الحميد إلى السيد المهدى وفى ذلك يقول الصادق :

مليك ملوك الأرض مذ كان فى المهد
توالت هداياه على السيد المهدى
هدايا عظيم أهديت لمعظم ... فمن هو كالمهدى إليه وكالمهدى
كعبد الحميد الملك يحمى حماه من؟ ... وكالسيد المهدى فمن هديه يهدى؟
أتى (صادق) يطوى الهامه قاصداً ... إلى حرم المهدى المطايا له يهدى
يجوب الفيافى لا يميل إلى الكرى
حليف السرى يهوى مواصلة الهدى
يرى الصعب سهلا والتقاعس راحة
وبُعد المدى قرباً وما مرّ كالشهد الخ

وقد زار صادق باشا سنة ١٨٩٠ زاوية الجغبوب لنفس الغرض المذكور ، وبعد وصول السيد المهدى إلى الكفرة كما سبق أرسل بكثير من البعثات الاستكشافية لبحث وتنقيب الطرق المؤدية من الكفرة إلى السودانين الفرنسى والمصرى وإلى مصر ودراسة تلك الصحارى ، ومن بين تلك البعثات تلك التى كان يرأسها السيد مصطفى السمالوسى كما جاء فى كتاب أرسله العلامة الجليل السيد أحمد الريفى إلى السيد مصطفى المحجوب (رئيس زاوية الطليمون) فعثرت هذه البعثة على موقع واحة (العوينات) وواحة (مرقة) وكانت هاتان الواحتان إلى ذلك العهد مجهولتين ، كما اكتشفت مواقع أخرى فلم يكن والحالة هذه المكتشف لواحة الكفرة أو العوينات صاحب السعادة أحمد باشا حسنين رحمه الله وجعل الجنة مثواه ؛ ولكنه زار تلك الواحات وغيرها مصحوباً بالكثير من رجال السنوسى ولا يزال الكثير منهم على قيد الحياة .

محمد الطيب بن إدريس

برقية من صاحب « الأديب » :

أشرت فى عدد سابق من « الرسالة » إلى حديث نشرته مجلة « المعهد » التى تصدر فى جنوب لبنان ، وعزاه محرر تلك المجلة إلى الأستاذ ألبير أديب صاحب مجلة الأديب وزعم فيه أن الدكتور عبد الرحمن بدوى المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول إنما لبى دعوة كلية الآداب فى لبنان لإلقاء المحاضرات التى ألقاها هناك لأمر يتصل بمركزه فى الجامعة المصرية ، وأن الفرنسيين وجهوا إليه هذه الدعوة ستراً لأساليبهم الاستعمارية .

وقد تلقينا برقية من الأستاذ ألبير أديب تأخر نشرها سهواً يقول فيها إنه لم « يتحدث إلى مجلة المعهد عن الدكتور عبد الرحمن بدوى » وأنه « نفى الحديث فى مجلة الأديب عدد مارس » .

ونحن نشكر للأستاذ صاحب « الأديب » هذه الغيرة على الحقيقة وبخاصة فى جانب أستاذ مصرى وجهت إليه دعوة علمية فلم يضن على أبناء لبنان بعلمه وأدبه ، وننتظر من محرر « المعهد » أن ينصف الأستاذين بالاعتذار

« الجاحظ »

الكتب

أبو هريرة

[تأليف الأستاذ عبد الحسين الموسوي العاملي]

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

اسم كتاب ألفه الأستاذ الفاضل عبد الحسين الموسوى العاملي ، وهو من الشيعة المقيمين بالشام ، وقد أراد أن يدرس أبا هريرة درساً علمياً بريئاً من التعصب المذهبي ، ولكنه لم يكد يفتتح كتابه حتى وقع فيما فر منه ، وابتداء من أول صفحة كتاباً لا ينظر إلى أبي هريرة في ذاته ، وإنما ينظر إليه كشخص يقدسه أهل السنة المخالفون له في الغلو في التشيع ، لأنا معشر أهل السنة نتشيع لعلى وأهل بيته رضى الله عنهم ، ونسلك في ذلك مذهباً وسطاً بين الغالين في التشيع لهم ، والذين يكرهونهم من الخوارج ونحوهم ، وقد قال على رضى الله عنه : خير هذه الأمة النمط الأوسط ، يلحق بهم التالى ، ويرجع إليهم الغالى .

فقد ذكر المؤلف أن الذى أوقع أهل السنة فى الرضا عن أبى هريرة إنما هو مذهبهم فى تعديل كل صحابى ، واعتقاد أن الصحبة عصمة لايمس صاحبها بجرح وإن فعل ما فعل ، ثم ذكر أن الصحبة فضيلة جليلة ولكنها غير عاصمة ، وأن الصحابة كان فيهم العدول والأولياء والأصفياء والصديقون ، وكان فيهم مجهول الحال ، وكان فيهم المنافقون من أهل الجرائم والعظائم ، كما قال تعالى (ومن أهل المدينة مَرَدُوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) فعدولهم حجة ، ومجهول الحال تتبين أمره ، وأهل الجرائم لا وزن لهم ولا لحديثهم ، وقد درس المؤلف أبا هريرة على هذا الأساس ليثبت أنه كان منافقاً كذاباً مجرماً ، فيكون عنده من الفريق الثالث الذى عده من الصحابة ، ولا يكون هناك وزن له ولا لحديثه .

ونحن معشر أهل السنة لا نعتقد أن الصحبة عصمة ، لأنه لا عصمة عندنا إلا مع وحى ونبوة ، والشيعة هم الذين يقولون بوجود العصمة بعد النبوة ، فالمؤلف فيما رمانا به من هذا على حد قولهم فى أمثالهم : رمتنى بدائها وانسلّت .

فالصحابة عندنا رجال كسائر الرجال ، يصيبون كما يصيبون ، ويخطئون كما يخطئون ، ولهذا كان مذهب الصحابى ليس حجة عند جمهور أهل السنة ، وكان الشافعى فيما أظن إذا خالف مذهبه مذهب الصحابى يقول: هم رجال ونحن رجال فالصحابى قد يخطىء فى رأيه ، وقد يخونه سمعه فيخطىء فيما يرويه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأهل السنة يجيزون تخطئة الصحابى فيما يقع فيه من الخطأ ، لا فرق فى ذلك بين أبى هريرة وغيره من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم لا يجيزون تجاوز ذلك إلى الطعن فى دينهم ، ورميهم بما رمى به المؤلف أبا هريرة من أنه كان منافقاً مجرماً كذاباً ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم مات وهو راض عن أصحابه ، ونحن نكرمه برضانا عمن رضى عنه ، وبالتأدب فى حقه وعدم الطعن عليه فى دينه ، وقد كان أبو هريرة من ألصق الأصحاب بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فبعيد أن يكون رضاه عنه فى موضعه ، وألا يكون رضاه عن منافق كان يخدعه فى دينه ، وإذا خطىء أبا هريرة بعد ذلك فيما يثبت عليه أنه أخطأ فيه ، مع صون اللسان عن السب والشتم والطعن فى الدين ، فليس هذا السب من النقد الصحيح فى شىء ، ولا من أدب الجدال فى الدين والعلم ، وقد نهانا الله عن ذلك فى جدالنا مع من يخالفنا فى الدين ، فقال تعالى فى الآية — ١٠٨ — من سورة الإنعام (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) ، وقال تعالى فى الآية — ٤٦ — من سورة العنكبوت (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن) ، والمسلم أحق بذلك مع المسلم .

وقد ثبت أنه كان هناك رواة يضعون الحديث على أبى هريرة ، ومنهم إسحاق بن نجيح الملطى ، وعثمان بن خالد العثمانى ، وابنه محمد ، وهو الذى روى عن أبى هريرة أنه دخل على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة عثمان بن عفان وبيدها مشط ، فقالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندى آنفاً رجَّلت شعره ، فقال لى : كيف تجدين أبا عبد الله — يعنى عثمان — قلت : بخير . قال : أكرميه ، فإنه من أشبه أصحابى بى خلقاً . وهذا حديث باطل ، لأن رقية ماتت فى غزوة بدر ، وأبو هريرة إنما أسلم بعد فتح خيبر ، فلنحمل مثل هذا على أولئك الرواة ، ولا داعى إلى الطعن فى أبى هريرة .

ضبط الأعلام

[تأليف المغفور له أحمد تيمور باشا]

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

هذا أثر نافع مفيد ، قام بتأليفه وتحريره فقيد العلم واللغة المغفور له أحمد تيمور باشا ، ثم انتقل إلى جوار ربه ولم يكن قد استكمل ما رسم له من المقدمات والتمهيدات ، كسائر ما ترك رحمه الله من الآثار والمؤلفات .

يتضمن هذا الكتاب ضبط أسماء الأعلام في اللغة العربية ، مما يقع فيه التحريف واللبس إما لندرته وغرابته أو لاختلاف النطق فيه وبعد المهذبه ، على أن المؤلف رحمه الله لم يكتف بهذا فيما ذكر من الأعلام ، ولكنه أورد لها ترجمات قصيرة ، وحقق لها ما استطاع من تاريخ الميلاد وتاريخ الوفاة ، وهذا في الواقع عمل شاق لا يدركه إلا من كابده ، وما كان يتيسر إلا للمغفور له تيمور باشا بما كان له من الاطلاع الواسع ، وبما كان يملك من المخطوطات والآثار النادرة . فليس من شك في أن هذا الكتاب قد سدّ طلبة للباحثين والمحققين .

ولقد قامت بنشر هذا الكتاب «لجنة نشر المؤلفات التيمورية» وهي لجنة تألفت للنهوض بهذا العمل الجليل ، ولكني أسفت كثيراً وتألمت ! إذ وقعت في الكتاب على أغلاط نحوية ومطبعية لا تحصى ، ففي صفحة واحدة وجدت قوله « عادياً عنها » والصواب « عارياً » ، وقوله « وورد كثيراً منها » والصحيح « كثير » وقوله « كابن بنانه » والصواب « نباتة » وقوله « يذكر أبيه وجدّ غالباً » والصواب « وجده » ، وإن التبعة في هذا كله على الناشر لا على المؤلف ، فقد كان تيمور باشا رضوان الله عليه عالماً محققاً ، وقد عرفته يقضي الأيام والليالي في تصحيح لفظ أو ضبط كلمة ، فلعل اللجنة تتلافى هذا في الطبعة الثانية لهذا الكتاب ، وتراعيه فيما تنشر من مؤلفات أخرى للفقيد المظيم .

أمهات المؤمنين ...

[تأليف السيدة الفضلى وداد سكاكيني]

للأستاذ كامل محمد عجلان

أهدت إليّ الكاتبة الشرقية ضيفة مصر السيدة وداد سكاكيني كتابها الأخير (أمهات المؤمنين وأخوات الشهداء) .

وقراء الرسالة يعرفون هزجات قلمها الفنان ، فلست في حاجة إلى وصف براعتها وحسن بيانها ، ولكني أريد أن أحيي عاجلا مرآتها التي جلتها لقراء العربية بعد مراياها الحسان .

وأنا سيء الظن بآثار الأنوثة القلمية لأنني كلما تناولت عملا فنياً لنسائنا الشرقيات بدت لي أصابع الرجل تنسج وتدفع أنامل المرأة وبذلك تضيع نفحات الأنوثة أو تبدو وقوامة الرجل عليها شاهدة ، ولعل حظ نساء مصر في الانتحال الأدبي أوفى من غيرهن في الأقطار الشقيقة .

لكن السيدة وداد فيما تقدمه لنا ترغمني على أن أستثنيها لأن أدبها تنشئه أناملها الصناع وأنفاسها التي تتموج على شباة قلمها عدها قلب حي بين أضالع معمورة بحنان المرأة الغيرى على أختها في ماضيها وحاضرها . وكذلك كان كتابها عن أمهات المؤمنين مثل (أم الزهراء) و(أم الحسنين) و (أم المؤمنين) وغيرهن

وعناية السيدة وداد بجمال التصوير لم تمنعها من إبداء الخصائص التي تضيق بها في المرأة مع إيماننا بأنها من لوازم الأنثى حتى ولو كانت من أمهات المؤمنين كالهفوات الخفيفة التي تخللت صفاء الزوجية من جانب نساء الرسول .

وهو هو السمح الذي يصفح بفضل حلمه ورحابة صدره الذي أناره الله بنور النبوة .

وإن تعجب فلك أن تعليل الإعجاب بالسيدة وداد في مقدرتها في نخل كتب السيرة وغربلة روايات الأوائل حتى أخرجت لنا هذا الكتاب .



أسطورة من روائع الأدب الروسى :

بشر وشـــــياطين

[قصة الخمر والدنان وغلبة الشيطان على الإنسان]

للكاتب الفيلسوف ليو تولستوى

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

ما كاد الصبح يتنفس ، وتخفق جنبات الكون بالحياة .. حتى هرع الفلاح الفقير يغذ الخطى إلى حقله ... وقد بكر فى غدائه يروم الحرث والفلح ... ويحمل معه كسرات يابسة من الخبز ليفطر ثمة بها ...

فلما هيأ محراثه وربط إليه حصانه ... علق ثوبه — وقد أودعه كسرات الخبز — إلى شجيرة دانية ... وانطلق يشق أديم الأرض ويقلب الترب ... حتى إذا ما تصرمت ساعات الصبح ، وترامت الضحى وأدركه العناء ، وتبدى الإعياء والسغب على حصانه ... أطلقه فى سبيل الكلأ ... وانثنى هو إلى الشجيرة يبتغى الكسرات يسد بها جوعه الذى راح يبرح به ...

فما إن بسط ثوبه حتى تولاه العجب .! إذ ألفى الخبز قد اختفى منه ... فقلب الثوب بين يديه وراح يهزه ، ولكن عبثاً !. فليس للخبز من أثر . فقال — يحدث نفسه وما زال الشك يتوزعها — « عجباً ! ! . . إن هذا غاية فى الغرابة ، إنى لم ألمح أى إنسان هذه الصبيحة ! . لعل أحدهم كان هنا ، وأخذ معه الخبز . ! » .

أجل لقد أخذه واحد من الشياطين الصغار ، بينما كان الفلاح مستغرقاً فى عمله ... وكان فى ذلك الحين قاعداً خلف الشجيرة يترقب ما سوف يتفوه به الفلاح من لعن وسباب ...

فاض قلب الفلاح بالأسف وألم به الضيق لضياع الخبز الذى أعده لفطوره ، بيد أنه ما لبث أن ارتفع صوته فى هدوء : «ليست ثمت حيلة ... وعلى كل حال فلن أقضى من الجوع ! . وإنى أحسب أن من استولى على الخبز أشد منى حاجة إليه ... فهنيئاً لمن أخذه ! . » .

ومضى إلى جدول .. فرشف منه بعضاً من الماء ينقع به غلته .. ومال يستريح من عناء العمل ومن قرصة الجوع ... وبعد حين أسرج جواده وقيده إلى المحراث وعاد يقلب به صفحة الترب من جديد ...

***

فطأطأ الشيطان الصغير رأسه ... وقد ركبه الخجل والألم لإخفاقه فى حمل الفلاح على أن يزل لسانه ويشرع فى سبيل الخطيئة ... وانثنى إلى أستاذه الأكبر « إبليس » يروى له ما حدث ! وكيف أنه أخفى عن الفلاح الفقير البائس كسرات الخبز فلم يحمله هـذا على أن يتلفظ بكلمات السوء ... بل قال وهو قرير النفس . « هنيئاً لمن أخذها . ! » .

فصاح فيـه « إبليس » ... وقد تملكه الغضب وزاد تلهب عينيه وكأنهما جمرتان وسرى الحنق والسخط إلى نفسه : « إنه خطؤك أنت ... فلست تفقه ما ينبغى عليك أن تعمله ... فبهذه الطريقة سوف يعيش الفلاحون وأزواجهم وذريتهم سعداء فى راحة وهناء ... يجب عليك أن تبث الضغينة وتنفث فيهم البغضاء وتفسد قلوبهم وتثير الحقد فى نفوسهم ... فهذه رسالتنا منذ أن خلق البشر ... انطلق ثانيـة ... وإنى لأمهلك ثلاث سنوات لتصلح ما أتيته من خطأ ... فإذا عدت بعدها ولم تفلح فى أن تدع الشر ينساب فى قلب ذلك الفلاح ، فسوف أغرقك فى الماء المقدس» .

فارتعدت فرائص الشيطان الصغير من الفرق والهلع ، وهو يرى أستاذه الأكبر يتوعده بالثبور والعذاب الأليم ... فغاص فى باطن الأرض ، وهو يجهد ذهنه ويعصره بحثاً عن حيلة توغر قلب الفلاح ، وتدفع عنه غضب إبليس ... وما أرهبه من غضب !. فراح يفكر ويطيل التفكير حتى عثر على خطة بارعة .

فانقلب فى شكل واحد من بنى آدم ... وتمثل بشراً سوياً ... وذهب إلى الفلاح حيث سأله عملاً بأجر رخيص ... فلم يجد هذا بأساً فى أن يلحقه بخدمته ليكون له عوناً فى زراعته . !

وفى السنة الأولى أشار على الفلاح بأن يزرع قمحاً فى أرض غدقة جرداء ذات جدب ومحل ... فعمل الفلاح بمشورته ، وبذر قمحه فى تلك الأرض السبخة ... فلمـا انقضى الحول — وكان ذا صيف مبهد شـديد الحر — لفحت الشمس غلال الفلاحين

الآخرين فأحرقتها ... دون قمح ذلك الفلاح فقد نمى كثيفاً ، وغلظت سنابله ودحس حبه ... ففاض عن حاجته بعد أن أترعت خزائنه وامتلأت ... فألقاه جانباً ...

فلما حان موعد الزرع من جديد أخذ الشيطان يزين له أن يبذر القمح هذه المرة في سفح الجبل ... فرضخ الفلاح لمشيئته ... بيد أن الصيف في هذه السنة كان طلقاً ذا ريح سجسج ... فتلفت غلال الآخرين وعفنت ولم تجدل لها سنابل ... أما الفلاح فقد تأتى له حصادٌ طيب أبلغ في الوفرة من سابقه ... فحار الفلاح فيما يفعله بكل تلك الزيادة ...

وحينئذ أوحى إليه الشيطان كيف يستخلص الخمر من الحنطة فينقعها حيناً ثم يقطرها حتى يبلغ منها الراح فيمتقه ثم يشربه ...

فراح الفلاح يقطر الخمر ... ويودعها في دنان ... ثم يدعو رفاقه لينهلوا منها معه حتى يدركهم الثمل والسكر . !

* * *

عاد الشيطان الصغير إلى أستاذه « إبليس » يحدثه بما فعل في زهو وخيلاء ... فأخبره أستاذه الأكبر بأنه سوف يرافقه ، فيرى بعينه ما وفق إليه تلميذه ورسوله ...

فلما بلغ دار الفلاح ألفى هذا قد جمع حشداً من صحابه وجيرته يدعوهم إلى الشراب . وكانت زوجه تدور عليهم بالقداح ، فينهلون منها ويعلون ، وبينما هي تمد يدها ببعض الشراب إلى واحد منهم ... تعثرت قدمها فهوت على الأرض وتحطمت إحدى الدنان ...

فاحتدم غيظ الفلاح ، واستشاط غضباً على زوجته ... وانطلق يعنفها ويلعنها : « ما هذا أيتها الكسيحة الحمقاء ؟ ! هل عميت حتى تهرق هذه الخمر النفيسة على الأرض ؟! اغربي عن وجهي . لعنة الله عليك ! . » .

فلكز الشيطان الصغير أستاذه « إبليس » في جنبه بمرفقه وهو يقول في صوت رن فيه جرس الانتصار والزهو : « انظر ... هذا هو الرجل الذي لم أتمكن من إثارة غضبه حيناً كان الجوع يصرخ في أمعائه ... وقد ضاعت منه كسرات الخبز ! . »

وقام الفلاح يناول الخمر أضيافه ... وما زال لسانه يجري باللعن والسب على زوجته ... وحينئذ دلف إلى الدار أحد الفلاحين ، وهو عائد لتوه من حقله . فرأى القوم ينهلون الخمر ... فحدثته نفسه بأنه واجد عندهم بعض الشراب يبعث الراحة في نفسه ، وقد أنهكه التعب وأضناه العمل ... فجلس إلى أحد المقاعد وراح يتلمظ القطرة من الشراب . ولكن صاحبنا الفلاح — بدلا من أن يجود عليه ببعض الخمر — قال له في صوت أجش شاعت فيه الغلظة : ليس عندي شراب لكل عابر سبيل ! . . فتفضل بمغادرتنا » .

فترسمت على شفتي « إبليس » ابتسامة ... بيد أن الشيطان الصغير ما لبث أن همس في مسمعه : « انتظر بعض الوقت! وانظر ما سوف يفعلون ! . » .

نهل الرفقاء الأغنياء مع صاحبهم الفلاح ، وجرعوا من الصهباء ما طاب لهم : ولذ لمذاقهم ... وبدأت تسري بينهم أحاديث النفاق والخداع ، وتجري على ألسنتهم ألفاظ السوء والنميمة ... وتطير بين شفاههم كلمات الملق والمداهنة والرياء .

فأصغى « إبليس » لما يقولون ... وسره ما رآه من نبوغ تلميذه الشيطان ... وقال « إذا كان هذا الشراب يحملهم على أن يتبادلوا أحاديث المكر والخداع كما هي خلال الثعالب فإن ذلك يجعلهم عجينة طيعة في أيدينا نحن الشياطين ! . » .

فأجابه الشيطان الصغير : « دعهم يتناولون زقاً آخر من هذه الخمر ... ثم ارقب ما يكون من أمرهم ... إنهم الآن يبصبصون بأذنابهم كالثعالب ، ويماكرون في دهائها ولكن بعد حين سوف ينقلبون إلى ذئاب وحشية ! . »

وزع الفلاح على الأضياف كؤوساً أخرى من الخمر فراحوا يعبون منها في نهم .. وبدأت أحاديثهم ترتفع وتخشن . وتنساب في رنتها غلظة الوحشية ... فبعد أحاديث الملق والرياء ، راحوا يتقاذفون بألفاظ السباب والشتائم ، ويزمجرون في أصوات مخيفة ويلطم كل منهم الآخر على أنفه ويصفعه على وجهه . واشتبك معهم كذلك الفلاح صاحب الدار ...

فمد الشيطان الأكبر طرفه إلى ذلك ، وقد بلغ منه السرور والبهجة مبلغاً عظيماً ... وراح يردد « هذا عظيم ... هذا عظيم !» ولكن العفريت ما لبث أن قال له « انتظر قليلا فثمة ما هو أعظم من هذا ... ترقبهم حتى يفرغوا في أجوافهم دناً ثالثة ... فينقلبوا من ذئاب وحشية تتلاطم وتتصافع، إلى خنازير لا تدرك ولا تعي ..

تناول الفلاحون دناً ثالثة ... فارتفع لجاجهم وعطعطهم وهم يلغطون كالبهائم التي لا تملك إحساساً ولا شعوراً . فأخذوا يصيحون دون أن يعرفوا سبباً لصياحهم ولا يصغي أحدهم للآخر!

وبدأ الحفل يشرف على منتهاه ... وانطلق السكارى فرادى ومثنى وثلاث ... تعلو صيحاتهم الحيوانية وصراخهم الوحشى فى هدأة الدجى فيمزق سكونه فى رهبة تبعث الرعب !.

وهم الفلاح يودع أصدقاءه ... ولكنه سقط فى بركة من الماء الضحل .. فتلطخ جسده وثوبه بالوحل من هامته إلى أخمص قدمه .. فانفلت يلعن ويسب ، وهو قابع فى مكانه كالخنزير ..

***

قهقه «إبليس» عالياً .. وعاد يُطرى نبوغ تلميذه ثم قال له : « لقد أمكنك أن تصلح خطأك حين أخفيت الخبز عن الفلاح .. وفزت بالنجاح فيما اختبرتك فيه ..

ولكن خبرنى كيف رُكب هذا الشراب الساحر .. لابد أنك وضعت فيه خلاصة من دماء الثعالب .. وأضفت إليه دماء الذئاب ثم مزجتها بدم الخنازير .. ذلك ما جعلهم بتاً كرون ويتملق بعضهم بعضاً فى أول الأمر كالثعالب !. ثم يتضاربون كالذئاب.. ثم يصيحون كالخنازير التى فقدت إحساسها ومشاعرها»

فأجابه الشيطان الصغير : « لا يا سيدى الفاضل !. ليست هذه الطريقة التى اتبعتها فى عمل هذا الشراب ... كل ما فعلته هو أنى لحظت أن الفلاح توفر لديه القمح وزاد عن حاجته !..

إن دماء الحيوانات والوحوش كامنة فى عروق الإنسان منذ أن فُطر .. فطالما عنده ما يكاد يكفى حاجته من الطعام والخبز .. ظلت هذه الدماء ساكنة حبيسة .. ولذا لم يغضب الفلاح حينما سرقت منه كسرة الخبز !.

وحينما توفر لديه القمح وراح يسعى إلى وجوه جديدة يتنعم فيها بهذا الوفر فدلته على متعة عظيمة .. هى الخمر فلما أخذ يقلب فضل الله وخيره عليه ... إلى هذه الخمر ليتخذها متعة لنفسه ، انطلقت دماء الثعالب ودماء الذئاب ودماء الخنازير من سكونها وراحت تعبث بنفسه وتعبث بعقله .. ولو أن الإنسان داوم على الشراب !. لظل حيواناً وحشياً طيلة حياته ... إن الرغد من أسباب الرذيلة !. » .

فامتدح إبليس تلميذه الشيطان الصغير وأثنى على براعته وعفا عما بدر منه سابقاً من ذنوب... ورقاه إلى رتبة أعلى فى دنيا الشياطين!

(القاهرة) **مصطفى جميل مرسى**